

هواجس

هواجس



عابدة نصرالله

فِي لُحَّةِ الْجَمِّ نَنَاقَتْهَا الْأَمْوَاجُ، مَرَّةً تُطَرِّحُهَا عَلَى ظَهْرِ فَرَشٍ.

فَمَا كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَهَا، وَمَرَّةً تُطَرِّحُهَا عَلَى ثَمَرَةٍ نُحْرِبَتِ نَطَعُهَا.

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْفِضُ أَوْ تَزِيدُ، حَتَّى وَجَدَتْ ضَالَّتِهَا الَّتِي صَوَّرَتْهَا

كشَّمْسٍ فِي وَسْطِ الْمَحِيطِ.

سَلَطَ الضُّوءُ عَلَيْهَا، حَتَّى كَشَفَ خَلَايَاهَا الَّتِي عَطَبَهَا الزَّمَنُ.

فَنَرَكِهَا تَلَاظِمُ الْأَمْوَاجِ، وَانْسَحَبَ دُونَ رَفَّةٍ جَفَنٍ.

منشورات دار الوسط للنشر



الطبعة الأولى: 2021

عابدة نصرالله
مجموعة قصصية

هواجس

عايدة نصر الله

دار الوسط اليوم للإعلام والنشر- رام الله

0549902242

0599551603

alwasattoday@gmail.com

اللوحة : عمل فني لعايدة نصرالله

تصوير: حاجيت مور

حقوق النشر محفوظة للمؤلفة

الطبعة الأولى

2021

إهداء

إلى

شروق

و

علاء

امراةٌ بلا مُستقبلٍ

في قصّةٍ عابرةٍ على مقهى الغروب، وصفني بـ "امراة بلا مستقبل".

لم أفهم ما هو المستقبل، إن لم يكن ذلك اللحن الذي سمعته من شبّاكٍ أطلّ على البحر، ولم أعِ مُستقبلي، إلا مع سيّارةٍ رماديّةٍ سارت بي مسافاتٍ عميرٍ قد مضى، لتُخْضِرَ لي عمراً آتياً تحت عريشةٍ في سهلٍ بعيد.

بعد أقلّ من أسبوع، وجدتُ خبراً في الصّحيفة عن انتحارٍ ذلك الذي وصفني بـ "امراة بلا مستقبل".

كانَ بجانبه ورقةٌ كتبت عليها:

"اخترتُ الموت، لأنّي رجُلٌ بلا مُستقبل".

سداجة

زمان وأنا صغيرة، كنتُ أحسبُ أتي (هبلَة)، وأتي عندما سأكبر، ربّما سأصبحُ مثلَ خلقِ الله. مثلًا: لا تأخذُ الطّالباتُ مِنِّي أقلامي، ولا أشفقُ عليهنَّ أثناء غضبِ المُعلِّم، وأسرِّبُ لهنَّ أجوبتي.

كانتُ أُمِّي دائمةَ الصّراخ: هَبْل، أنتِ تقرئين، وهُنَّ يسرقنَ عنكِ الدّرس.

كبرتُ قليلًا، وإذا بالهبل يزداد، فمثلًا: لو كانَ معي ساندويشة، ورأيتُ أحدًا ليسَ معهُ، أعطيتُهُ ساندويشتي، وبَعَدَ أن أعودَ إلى البيت، كانتُ أُمِّي تضرُّبني عَلاقةً لأنِّي هبلَة فتقول:

- طيّب، أعطيه نصفها.

صرتُ صبيّةً، وكنْتُ أشطّرَ واحدةً في الصّفِّ. بناتُ صفّي لم يُتَقَنَّ الإنكليزيّة، فترجمتُ لهنَّ اللّغة، ولم أقبَلْ فليسًا واحدةً، وعندما بهدلتني أُمِّي قلتُ لها:

- لأنّ وجههنَّ صفراءُ.

أصبحتُ شابّةً، صدرها يندفعُ أمامها.

رَبَطْتُ أَرْزَارَ الْقَمِيصِ حَتَّى الْعُنُقِ، عَبَسْتُ، وَقَطَّبْتُ
جَبِينِي، وَضَمَمْتُ حَاجِيَّ، وَمَشَيْتُ بِزَاوِيَةِ تَسْعِينَ، وَتَزَوَّجْتُ
بِالْمَبْدُئِيِّ فَقَالَتْ أُمِّي:

- لَسْتَ وَجَهَ نِعْمَةٍ.

بَعْدَهَا كَفَرْتُ بِالزَّوْجِ، وَغَمَرْتُ نَفْسِي بِالْأَغْطِيَةِ، وَأَقْسَمْتُ
بِالْمَبْدُئِيِّ أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ. قَالَتْ لِي أُمِّي: - هَيْلَةَ

قَلْتِ: - فَلَئِنْ كُنْتُ.

أَوَّلُ وَاحِدٍ قَالَ: - أَحْبَبْتُ

صَدَّقْتُهُ، وَأَعْطَيْتُهُ قَلْبِي.

الثَّانِي

دَمِي

الثَّالِثُ

حُرُوفِي

عِنْدَهَا تَجَرَّدْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَدْرَكْتُ أَنِّي سَازِجَةٌ،
فَقَرَّرْتُ أَنْ أُعِيدَ تَرْتِيبَ الزَّمَانِ عَلَى حَاقَةِ الْمَوْتِ.

المُغفلة

المُغفلةُ حالفها الحظُّ مرّةً، عندما يئستُ من تحقيق
حُلْمِها، في أن تُقبِلَ رجلاً على جبينه، أو بينَ عينه، أو....
المُغفلةُ حالفها الحظُّ، عندما أطلَّ من كُوتها صُدفةً رجلٌ
وقال لها: - كلُّ عامٍ وأنّيتِ بخير.

فرحتُ... هناكَ منَ سيشربُ قهوتَهُ معها اليوم. بعدَ شربِ
القهوة قال لها:
- تفاعلي. سأكونُ ذلكَ الرَّجل.

تفاعلتُ، لأنّها تعودتُ أن تتفاعلَ دائماً. ثمّ بدأ يغسلها
بالهدايا المتلاحقةِ يومياً؛ حبّةُ شوكولا مدسوسةٌ برسالةٍ،
وشرابٌ معسول، وضمّةٌ وردٍ جوربي... كلّها مرسومةٌ بالكلمات.
هي رأتِ الكلماتِ صوراً حقيقيّةً ترتسمُ أمامها؛ فبدأتُ تُعدُّ
العُدّةَ لتحقيقِ كلماتِ الوعد.

بلغَ بهِ الكرمُ أن وعدّها باستضافتها، وبلعبِ الغمّيضةِ معها،
وهي أيضاً تُحبُّ اللّعبة، وعندما حدّدتِ الموعدَ قال لها:
- حبيبتي، رفقاً بي، هل تسمحين أن أغيبَ قليلاً؟
سمحتُ له، ومَحَتُهُ مِنَ الدّآكرة.

شفقة

ها أنا قد وجدتُ وسيلةً بذكائي، للتخلُّصِ منها تلكَ العجوز التي تسكنُ تحتَ بيتي.

أحمدُ اللهَ أنّي الآنَ غيرُ مُلزَمَةٍ بها أبدًا، فلتأكلُها الوحدهُ، أو لتأكلُ هي الوحدهُ، ولتتعقُنْ وحدها، فأنا (أُطَشُّ) كلَّ شيء.

عندما كانَ زوجي الذي أعشقهُ يُناديها لتأكلَ معنا، كنتُ أريها ملامحَ وجهي غيرَ الباسمة، وعندما ينظرُ زوجي إليّ، أبتسمُ لها وكأني أُرَجِّبُ بها، فتنظلي عليه حيلي، وبدأتُ باستفزازها بتخطيطٍ مُحَكَّم، فإذا جلبتُ لي هديّةً أقولُ لها:

- هذا ليس ذوقي.

وإذا صادفَ ومدَّتْ يدها، لِتُنظِفَ لي قطعةً من أواني مطبخي، أسرعُ وشلفتُها منها، لأنّي لا أسمحُ بتنظيفِ أوانيّ ليدٍ لا تُتقنُ التَّنظيفَ مثلي، فتسحبُ يدها بسرعةٍ، تاركَةً إيّاها تحتَ وطأةِ علاماتِ السّؤال.

قبلَ سنواتٍ مرضتُ، فأغمضتُ عينيّ ونمتُ طويلاً، مُتناسيةً أيّ واجبٍ اتّجاهها، لأنّي ببساطة، لا أُحِبُّ نظراتها

الحادّة، ولا تعابيرَ وجْهها، وبقيتُ أَسْتَفِرُّهَا حتّى شتمتني،
ففرحتُ للشّتيمةِ الّتي جعلتُ منها حجّةً، في محو تلك
العجوز للأبد.

قَبَعَاتُ

تَحْتَ كُلِّ قَبْعَةٍ اخْتَزَنَ امْرَأَةٌ وَشَهَقَاتٍ لَيْلِيَّةً، وَمَا أَنْ يَخْلَعَ
القَبْعَةَ، حَتَّى تَتَجَوَّلَ أَسْرَارُهُ بَيْنَ الشَّاعِرَاتِ مِنْ كُلِّ الْعَالَمِ
العَرَبِيِّ.

القَبْعَةُ الصَّفْرَاءُ لَا تَلِيْقُ بِلَوْنِهِ، رَغَمَ أَنَّهَا تُشْبِهُهُ بِتَقْلِيْهَا
وَبِنَفَاقِيهَا، وَلَمْ تَلِقْ عَلَيْهِ الضَّوْءَ، وَحَالَمَا لَبَسَهَا وَأَعْلَقَ الْبَابَ
عَلَى الْقَصِيْدَةِ الْجَدِيْدَةِ، حَمَلَتْهَا فَطُومَ جَارَتُهَا، لِتَسْرِقَ مِنْهُ
السِّرَّ، قَبْلَ أَنْ تُدَيِّعَ الْقَبْعَةَ السِّرَّ، حَيْثُ كَانَتْ فَاطِمَةُ فِي
سَرِيْرِهِ، بَعِيْدًا عَنِ زَوْجِهَا الَّذِي يَعِيْشُ بَعِيْدًا عَنِ الْقَبْعَةِ.

نَفَثَتْ فَاطِمَةُ - أَوْ فَطُومَةُ كَمَا أَحَبَّ أَنْ يُدَلِّلَهَا- السَّجَائِرَ.
مَلِمَتْ نَفْسَهَا، وَخَوْفًا مِنْ اِكْتِشَافِ سِرِّهَا، حَمَلَتْ الْقَبْعَةَ،
وَرَمَتْهَا بَعِيْدًا.

لَمْ تُدْرِكْ فَاطِمَةُ أَنَّ هَوَايَةَ صَاحِبِ الْقَبْعَاتِ أَنْ يُبَيِّنَ السِّرَّ،
حَتَّى لَوْ كَانَتْ تَلِكُ الصَّفْرَاءُ غَائِبَةً، فَالْبُنِّيَّةُ، وَالسُّودَاءُ وَالزَّرْقَاءُ
كَانَتْ فِي دُرْجِ خَزَانَتِهِ، وَتَلَصَّصَتْهَا عَلَى شَهَقَاتِيهَا اللَّيْلِيَّةِ.

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لِبَسِّ الزَّرْقَاءِ، وَعَلَى الْيَاهُوِ فَضَحَ سِرَّ اللَّيْلِ
الْفَائِتَةِ، لِلْقَادِمَةِ الْجَدِيْدَةِ مِنْ قِصَائِدِهِ.

تكاسلٌ

صباحًا، يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ مُتْكَاسِلًا؛ يَنْقَلِبُ عَلَى جَانِبِهِ الْآخَرَ،
يَحْضُنُ الْفِرَاشَ الدَّافِئَ، يَتَمَتَّى لَوْ يَحْتَمِي مِنْ بَرُودَةِ قَلْبِهِ،
وَيَنْسَى أَنَّهُ كَانَ فِي لَيْلَتِهِ السَّابِقَةِ، فِي سَهْرَةٍ عَلَى حَاقَةِ التَّكْوِينِ.
يَتَذَكَّرُ أَنَّهُ مُعَلِّمٌ، وَعَلَيْهِ التَّوَجُّهُ لِلْمَدْرَسَةِ، وَفِي سِرِّهِ يَلْعَنُ
جَمِيعَ الْمُؤَسَّسَاتِ فِي الْعَالَمِ، لَكِنَّهُ يُحِبُّ التَّلَامِيذَ.

ظَهْرًا، يَشْرَبُ قَهْوَتَهُ الصَّبَاحِيَّةَ، وَيَلْعَنُ كُلَّ رَاكِبِي السِّيَّارَاتِ
الْأَلَامَةِ، وَيَرْكَبُ عَجَلَتَهُ، وَيَذْهَبُ مُسْرِعًا، بَعْدَ أَنْ مَلَّتْ جُعْبَتُهُ
مِنْ أَخْبَارٍ مُكْرَرَةٍ عَنِ الْوَطْنِيَّةِ وَالْدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ، وَيَصْطَلِمُ
بِمُتَسَوِّلٍ فِي طَرِيقِهِ، فَيَلْعَنُ كُلَّ الصُّحُفِ الَّتِي قَرَأَهَا.

بَعْدَ الْعَصْرِ يَأْكُلُ كَفْتَةً، ثُمَّ لَا تَمُرُّ دَقَائِقُ، حَتَّى يَعْصُرَ
بَطْنَهُ أَلْمًا. فِي الْمَسَاءِ يَتَّصِلُ بِصَاحِبِهِ لِيُخَفِّفَ مِنْ أَلَمِهِ، وَفِي
اللَّيْلِ يَقِفُ مَعَ الْكَأْسِ مُتَوَجِّدًا، نَاسِيًا الصَّحِيفَةَ وَالْمَعِدَةَ،
وَيَذْبُجُ مَعِدَتَهُ بِكَأْسٍ حَارٍّ مِنْ مَشْرُوبِهِ الْمُفْضَلِ، يَدُقُّ بِخَنَاقِ
الْمِحْبَرَةِ، فَيَجِدُّهَا قَدْ جَفَّتْ... يَلْعَنُ جَمِيعَ الْمَحَابِرِ فِي الْعَالَمِ.
يَتَكَوَّرُ مَمْعُودًا، ثُمَّ يَقُولُ:

- الْحَيَاةُ جَمِيلَةٌ لَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَيَاةَ.

يَبْتَسِمُ، ثُمَّ يَتَكَرَّرُ يَوْمَ آخِرُ.

جلسةٌ وقرارٌ

كانت جلسةٌ ثلاثيةٌ؛ الرئيس، نائب الرئيس الأول، نائب الرئيس الثاني.

عُقدت الجلسةُ لتداولِ أمورًا مصيريةً، وكانَ القرارُ واجبًا بموافقةِ الثلاثة.

طرحَ الرئيسُ بنودَ البحثِ للموافقةِ عليها، مُوجهًا أسئلتهُ للنائب الأول، ثمَّ الثاني على التوالي:

- ما رأيكم باللون الأبيض في بلادنا؟

النائب الأول: - جميل، موافق عليه.

الثاني: - أحتجّ.

- ما رأيكم باللون الأسود في بلادنا؟

الأول: - جميل... موافق.

الثاني: - أحتجّ.

- ما رأيكم بالسّلام؟

- موافق.

- أحتجّ.

- ما رأيكم بالحرب؟

الأول: - موافق.

الثاني: - أحتج.

وصارَ الواحدُ منهم يتململُ بعدَ كثيرٍ مِنَ الأسئلةِ الَّتِي لا يَتَسَعُ المجالُ لذكْرِها، حتَّى بدأ يكتفي الأوَّلُ بهزِّ رأسِهِ إلى الأسفل، للدِّلالةِ على الموافقة، والثَّاني بهزِّ رأسِهِ إلى أعلى، للدِّلالةِ على الاحتجاج.

واستمرَّت الهزَّاتُ حتَّى أصبحت "دروشة"، وتأقلمَ الرَّئيسُ معَ هزَّاتِ الرَّأسِ، فأصبحَ يسألُ ورأسُهُ "طالع نازل"، دونَ مُوازنةِ الهزَّاتِ معَ الموافقةِ والاحتجاج.

وعندما زادَ نبضُ الهزِّ ودفقِها، أصبحَ مُتعبًا لأفرادِ الجلسة، خاصَّةً للرئيسِ الَّذِي لم يَعدْ يَهتدي على رأسِهِ؛ فخبَطَ يَدَهُ على الطاولةِ وقال:

- نُوجِلُ الاجتماعَ، حتَّى تتِمَّ الموافقةُ على القرارِ بالإجماع.

هو

بدايةً، ظَهَرَ لَنَا بثوبٍ عاديٍّ، ولم يكن ليثيرَ الانتباهَ، لَوْلَا
تَمَيُّزُهُ بِخَفَّةِ حَرَكَتِهِ، وَتَمَكُّنُهُ مِنَ الرَّقْصِ مُخْتَلًا بَيْنَ إِخْوَتِهِ
الْآخَرِينَ، بَحِيثٌ يُشْعِرُ أَنَّه المُمَثِّلُ الوَحِيدُ فِي المَكَانِ.

فِي اليَوْمِ الثَّانِي رَأَيْنَاهُ وَقَدْ لَفَّ نَفْسَهُ بِالْبِيَاضِ، عَلَى مَا
يَبْدُو تَأَثُّرًا مِنْ رَدِّ فِعْلِ المَحِيطِينَ بِهِ، ذَوِي العَيُونِ الحَاسِدَةِ
الَّذِينَ لَمْ يَمْتَلِكُوا أَيَّ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاهَةِ، أَوْ خِفَّةِ الحَرَكَةِ كَمَا
امْتَلَكَ.

جَلَسْنَا عَلَى شَكْلِ دَائِرَةٍ، وَهُوَ احْتَلَّ الوَسْطَ بِإِشَارَاتِهِ
وَرَقْصَاتِهِ، مُمَعِنًا فِي التَّحْرِشِ بِتِلْكَ العَيُونِ النَّاطِرَةِ الَّتِي تَكَادُ
تَخْرُجُ مِنْ مَحَاجِرِهَا، جَاهِدَةً فِي تَعَقُّبِ حَرَكَاتِهِ، لِتَتَحَوَّلَ إِلَى
عَيُونٍ رَاقِصَةٍ لَيْسَ لَهَا مُسْتَقَرٌّ.

فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ لَبَسَ ثَوْبًا جَلْدِيًّا أَسْوَدَ، مِمَّا زَادَهُ طَوَّلًا
وَعَظْمَةً؛ فَدَخَلَتِ الخِشْيَةُ إِلَى قُلُوبِ الجَمِيعِ، ذَلِكَ؛ أَنْ كَوْنُهُ
مَكشُوفًا بِالْأَبْيَضِ، مَنَحَهُ عَلَى الأَقْلَى بَعْضَ النَّشَابَةِ مَعَ
جَنَسِهِ.

وَلَكِنْ مَا إِنَّ لَبَسَ ذَلِكَ الأَسْوَدَ، حَتَّى اخْتَفَتْ مَعَالِمُهُ

الحقيقيَّةُ وبدا مُرعبًا، وعلى ما يبدو؛ أحسَّ بتمكُّنِهِ، وأصبحَ
باستطاعتهِ ليسَ فقط حَوَلَ الأعين، إنّما قد يُؤدِّي إلى
العي، لو حدَّدَ إشاراتهِ أكثر.

كلُّ واحدٍ منّا أحسَّ أنّه مُذنبٌ في مُواجهتهِ، ولم نُدرِكْ
وقتها، أنّ ذلكَ الشَّيءَ الأسودَ ما هو إلَّا كائنٌ يُشبهُ ما لدينا،
ولم نَعِ إذا كان هو ذلكَ الإصبعَ الأسودَ الَّذي يُطلقُ
الكلماتِ، أم فَمَ صاحبهِ.

الشَّيْءُ

-1-

مُرْعَبٌ؛ لا لَوْنَ له ولا رائحة، ربّما تَسْرَبَ مِن خُرْمِ الباب، أو
مِن فَتْحَةِ المَغْسَلَةِ.

أخذتُ جرابَ نايِلون من الجارور، وأغلقتُ فتحةَ المَغْسَلَةِ.
يااااه... المَغْسَلَةُ أيضًا أصبحتُ مُرْعِبَةً.

أتفقُدُ نفسي... تُرى، هل التصقَ ذلكَ المرعبُ بملابسي؟
أغتسلُ، وأغسلُ الملابسَ وأنشرُها.

لا يُمكنُ نشرُها في الخارج. سيلتقطُها وأنا نائمة، فأقومُ من
وسط النعاس، وأنقلُ المنشرَ إلى غرفتي، فتفوحُ رائحةُ
الصّابون في الغرفة.

أغسلُ يديَّ عشراةِ المِرات، وهو يفتحُ فمَهُ ضاحكًا،
بحيثُ لا أستطيعُ أن أنهيَ ضحكتهُ لا بالتهر ولا بالصّراخ، ولا
حتى بطلقةِ نار. على كلِّ حال، لا أعرفُ أينَ سأُطلقُ النَّارَ.

لا هُوِيَّةَ لَهُ ولا أعضاء، كلُّ ما هنالكَ أَنَّهُ يتسرَّبُ بطريقةِ
ماكرةٍ تحتَ كلِّ شيءٍ.

أشعرُ بالرشح، فأصيحُ لنفسي:

- ها هو قد دخلَ مناخيري.

أتنشّقُ بالماء، أتوضّأ، لا شيء يمكنُ الفتكُ به.

أضعُ إعلانًا على الباب، على الواثس أب. لا لزيارة أحد.

حرمتُ نفسي من الاتصال، لعلّه يتسرّب من سلكِ
الهاتف، ولم أجرؤ على دعوة أية صديقةٍ أو أختٍ لأستمع
معها بحديث.

كلُّ هذا أصبحَ ممنوعًا، تحتَ وطأةِ السّيء الغريب الذي
يستعبدنا في نؤمننا وفي صحوننا، ويجعلُ منّا عبيدًا لتعاليمه.

حتّى هذه اللحظة أتوقّفُ عن الكتابة، لئلا يكونَ قد تسرّبَ
إلى الأحرف، فأمحو الحروفَ التي كتبتها، وأنظفها حتّى ألمعها
مرّةً أخرى، فيبيّضُ وجهها، اتقاءً لخزنها مُلوّثة.

الشيء

-2-

أنا، فأحلمُ بملايينِ من نفسِ المخلوقِ ينجرفُ إلى سريري،
ولا أستطيعُ التعرفَ عليه، وكلُّ ما أشعرُ بهِ نوعٌ من المخاطِ
انتابني فجأةً دونَ سببٍ، وأتهمُ حفيدي الصَّغيرِ، فربِّما جلبهُ
معهُ من الدَّكانِ، عندما ذهبَ ليشتري لي علبَةَ السَّجائرِ.

أمسحُ العلبَةَ مئاتِ المرَّاتِ، وأطردُ حفيدي من البيتِ،
فيبقى حفيدي مُحدِّقاً في جدِّهِ الَّتِي كانتْ تضمُّهُ حتَّى تَسحِقَهُ
حُبًّا، والآنَ تَزجُرُهُ من بعيدٍ، وتُرَكِّبُ بابًا إضافيًّا.

حتَّى لو استطاعَ ذلكَ الشَّيءُ العبورَ من بابٍ، يجدُ بابًا
آخرَ، يضحكُ مِنِّي ويُناكفُني، ويقولُ لي بصوتٍ غيرِ مسموعٍ:

- سأتسرَّبُ من تحتِ البابِ.

الصَّوتُ هو صوتي، وأكادُ أُصابُ بالجنونِ!

ماذا أكونُ، إذا لم أكنُ في حضنِ مَنْ يُدفنُني، وأشربُ معهُ
فنجانَ قهوةٍ، أو فنجانَ نِعماعِ، على وتيرةِ قصيدةٍ لمحمود
درويش؟

أصبحتُ بلا رفيقي، ولا شِعَرَ أسمعُهُ.

كلُّ الاهتمام انصبَّ على ذلك الذي يتسرَّب من تحت الباب.
ورودي في الحديقة جفَّت كما جففتُ أنا، فلم أَعُدْ أجرؤُ على
محادثتها.

كنتُ وورودي مُتحابَّان كعاشقين في آخر الليل، نتبادلُ
الهمومَ، حتَّى هي لم أجرؤُ أن أُكَلِّمها، فهي لا تخافُ من شيءٍ
ولا منه، وهي لا تُصابُ بنفس اللوثة التي ستُصيِّبني لو مسَّني،
ولو مسَّني ذلك المخلوق الغريب، كيف سأرتفعُ ميتةً فوقَ
الأكتاف، وموسيقى فيروز تُكلَّلُ جنازتي؟

هكذا كنتُ أريد أن أموت. لكنَّ هذا الشَّيء لن يُمكنَ أحدًا
من غسلي، ولا حتَّى بدفني، وسأكونُ وحيدةً أكثرَ من تلك
الوحدة التي عشَّتها من قبل.

الآن؛ الكلُّ صامتٌ، فلا أختُ، ولا صديقتي، ولا هاتفٌ، ولا
وردةٌ إلَّاي. رائحتي ثلاثم أن أكونَ وإياك في السرير، نُدغدغُ
بعضنا كما كنَّا صغارًا، لكَّي أخافُك.

حتَّى أنتِ ربَّما تخافينني، فَمَن يَعْلَمُ؟

كلُّنا يخافُ بعضه البعض.

أعتقدُ أَنَّهُ أَذْكَى مِنَّا جَمِيعًا، لأنَّ مَن يَخْلُقُ الخوفَ، يَجْئِي ما
يُرِيدُهُ.

انتخاب

قرَّرَ الحزبُ أَنْ يُجَدِّدَ قَوَاعِدَهُ، وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ؛ ضَجَّتِ القَاعَةُ
بِالْمُتَنَاقِشِينَ، وَكُلُّ فَرْدٍ كَانَ فِي حُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ لِيَقُولَ مَا عِنْدَهُ.

بَعْدَ النِّقَاشِ المُسْتَمِيتِ خَرَجَ صَوْتُ مِنَ العُمُقِ، يُطَالِبُ
بِتَغْيِيرِ الرَّئِيسِ. ابْتَسَمَ الرَّئِيسُ بِكُلِّ هَدْوٍ وَقَالَ:

- يَا رَفِيقُ، وَضِّحْ احْتِجَاجَكَ لِلكُوَادِرِ.

- أَنْتَ يَا رَفِيقُ رَئِيسٌ مِنْذِ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

- نَعَمْ، هَذَا صَحِيحٌ.

- أَلَمْ تَتَعَبْ؟

- لَا.

- لَمْ تُغَيِّرْ بَدَلَتَكَ الرَّسْمِيَّةَ، أَلَمْ تَمَلِّهَا؟

- لَا.

- لِحَيْتِكَ، أَلَمْ تُفَكِّرْ فِي تَغْيِيرِ لَوْنِهَا مِثْلًا؟

- لَا.

- حَذَاؤُكَ دَائِمًا يَلْمَعُ، أَلَمْ تُفَكِّرْ أَنْ تَدُوسَ عَلَى أَرْضِ

الشَّارِعِ يَوْمًا؟

قَهَقَهُ الرَّئِيسُ وَقَالَ:

- أنا أدوس، مَنْ قَالَ لَكَ أَنِّي لَا أَفْعَلُ؟ مَا احْتِجَاجُكَ يَا أَخ؟

- حسنًا، نحنُ مَلَلْنَاكَ.

قَالَهَا، وَتَوَقَّعَ أَنْ يَصِيحَ الْجَمِيعُ: - مَلَلْنَاكَ.

عَلَى اعْتِبَارِ الْإِتِّفَاقِ السَّرِيِّ الَّذِي أَجْرَاهُ مَعَ الْجَمِيعِ.

- مَلَلْنَاكَ.

رَدَّدَ الْعِبَارَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَنَظَرَ لِلخَلْقِ. كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِمْ كَأَنَّهُ غَابَ فِي سَبَاتٍ. ابْتَسَمَ الرَّئِيسُ وَقَالَ لِلرَّفِيقِ:

- حَسَنًا؛ مَلَلْتَنِي، هَذَا حَقُّكَ يَا رَفِيقِ. لَكِن كَمَا تَرَى، نَحْنُ

نَسِيرٌ مَعَ الْأَغْلَبِيَّةِ.

نَفَى الرَّفِيقُ نَفْسَهُ مِنَ الْحِزْبِ آنَذَاكَ، وَتَحَرَّرَ مِنْ كَلِمَةِ (رَفِيقِ). أَمْسَ، وَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً شُوهِدَ الرَّئِيسُ مَعَ الْبَدَلَةِ نَفْسَهَا، وَالرِّبَطَةَ وَاللَّحِيَةَ، فِي طَرِيقِهِ لِلْاجْتِمَاعِ كَمَا فِي كُلِّ سَنَةٍ، لِيَجْتَمَعَ بِكُوَادِرِهِ، لِكِي يُعِيدُوا تَنْظِيمَ الْقَوَاعِدِ.

ملاحظة:

يَجْدُرُ الْقَوْلُ، إِنَّ كَلِمَةَ (رَفِيقِ) تُقَالُ فِي مَجَامِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَحْزَابِ، لِهَذَا نَرْجُو مِنْ أَيِّ رَفِيقِي أَلَّا يَحْسَبَ نَفْسَهُ مَقْصُودًا.

لا أنامُ

عيني نصفُ الغافيةِ ترقبُك من بعيد، تُحسُّ نبضَ
النَّصِّ، عندما لا يكونُ حاضرًا معي.

لي من الغابةِ أحجياتُها، ومن الصَّحراءِ مداها، ومن
الشَّمسِ أخذتُ أشرطةَ النُّورِ، لأجلِسَها في قلبي، والقمرُ آه
منه، هو السِّرُّ الَّذي يَمُنحني الخطاب.

لا تَقُلْ لي إنَّكَ ما زلتَ تُحِبُّني، فعيني الغافيةُ ترى ما لا تراه،
وأكادُ أراك من وراءِ هذا الزَّجاجِ، وأنتَ تُشاغِبُ بحروفِكَ
المضيئة:

- ألا نشتو كلامًا؟

هذا هو النَّصُّ الماطرُ الَّذي تبحثُ عنه.

ها نحنُ شَتَوْنَا، ماذا بَعْدُ؟

هل تريدُ الشَّتوَ بعيدًا عن أعينِ المتطقلين؟

كيفَ، وأنا أصرُحُ بأعلى صوتي حافيةً على الرَّمالِ، ولا
أحبُّ إلا الصَّراخَ علنًا، وفي وضوحِ الشَّمسِ؟

عيني الغافية نصفُ مفتوحة، تُراقبُ هسيسَ الشَّجر،
وتُحاكيني تلكَ الأوراقُ في طريقها للسَّقوط:

- لا تتركينا.

تلكَ الأوراقُ التي اكتسبتْ لونَ الأرض، تخرقُ الأرضَ مرَّةً
أخرى، لتحيا في قلبها، وتُغذي التُّرابَ بعبقٍ جديد.

وبعينٍ نصفٍ مغلقةٍ أرى الصِّمَتَ، كيفَ يتحوَّلُ رماديًّا،
والكلامُ كيفَ يكونُ رماديًّا.

- قُلْ لي الصِّراحة.

لكنَّ اللونَ الرَّماديَّ لا يُمكنُ أنْ يهَبِكَ سوى غموضِ
اللَّونين، والعينُ البيضاءُ في قلبي، لا تستطيعُ العيشَ معَ
هذا الرَّماديِّ.

صمتهُ ثقيلٌ...

يُتقِنُ الصِّمَتَ، لأنَّهُ يعجزُ عن فهمِ ألواني.

موقفٌ في مطارِ كازا

عائلةٌ مَغْرِبِيَّةٌ مِنْ أُمَّ وَأَبْنَاءَ، جاؤوا لِيُودِّعُوا أبَنَهُمْ
"موريس" اليهوديَّ الرَّائِرَ لِلْمَغْرِبِ مِنْ إِسْرَائِيلِ.

الدَّمْعُ تَنْطَلِقُ مِنْ عَيُونِ الإِخْوَةِ. المرأةُ وَهِيَ الأَخْتُ الكَبْرَى
لموريس، تلبسُ لباسَ امرأةٍ مُسْلِمَةٍ بِكُلِّ المَقاييسِ، وتَدْعُو لَهُ
بِدَعَوَاتِ الأُمِّ المَغْرِبِيَّةِ:

- اللهُ يَرْضَى عَلَيْكَ، وَيُعِيدُ لَنَا السَّلَامَ.

اسْتغْرِبْتُ المَشْهَدَ. ضَمَمْتُ نَفْسِي فِي الصَّوْرَةِ مَعَهُمْ، وَأَنَا
لَا أَفْهَمُ كَيْفَ مِنَ المُمْكِنِ لموريسِ اليهوديِّ الَّذِي يَبْكِي إِخْوَتَهُ،
أَنْ يَكُونَ أَحَاً مُسْلِمِينَ مِنَ المَغْرِبِ.

بدايةً، بَدَتِ العائِلَةُ المَغْرِبِيَّةُ حَذْرَةً مَنِي. بادَرْتُهُمْ:
- أنا فلسطينيَّة.

مَدَتِ المرأةُ يَدَهَا لي مُصَافِحَةً، وَقَالَتْ:

- الفِلسطِينِيُّونَ كَلَّشَ زَوِينِينَ، اللهُ يَعاونِكم.

فِي الصَّوْرَةِ الَّتِي بَدَتُ سَريالِيَّةً، كَانَتْ أُمُّ الأَوْلَادِ الجَمِيلَةَ
بِلباسِها المَحْتَشِمِ فِي وَسَطِ الصَّوْرَةِ، وَموريسِ إِلَى جانِبِها،

ويافا واسمها الأصليّ ياقوت، من الجانب الآخر.

بَعْدَ أَنْ بَكُوا بِمَا فِيهِ الْكُفَايَةُ، وَأَنَا مُنْدَهِيَةٌ لِهَذَا التَّرَاوَجِ
الْإِنْسَانِيّ، عَلِمْتُ أَنَّ الْأُمَّ هِيَ أُخْتُ مُورِيسَ فِي الرِّضَاعَةِ،
فَعِنْدَمَا كَانَ مُورِيسَ صَغِيرًا، مَرَضَتْ وَالِدَتُهُ، فَرَضَعَتْهُ أُمُّ
الْمَرْأَةِ، وَبَقِيَ مُورِيسَ وَفِيًّا لِعَائِلَتِهِ الْمُسْلِمَةِ، وَيَقُولُ:

- أنا ذاهبٌ لرؤية إخوتي.

الإخوة الشّبابُ المسلمون كانوا يبيكون في المطار بحرقّة.
تساءلتُ:

- هل هناك أبدع من هذه الصّورة، لتكونَ نموذجًا لحياةٍ
بلا عَقْدِ الدِّياناتِ والقوميّاتِ؟
عائلةٌ تضمُّ مسلمينَ ومهودًا ويُنادونَ بعضهم بعضًا بـ
"أخي".

وما إن وصلنا مطار بن غوريون، حتّى أخرجوني من
الصّورة، وقطبوا وجوههم في وجهي، فمَسَحَ ذلكَ المشهدُ
الجميلُ من ذاكرتي.

إخراصُ الهاتفِ

التَلْفُونُ يَرُنُّ وَلَا يَهْدَأُ.

- هل لديك وقت؟

- لماذا؟

- أريد أن أتكلّمَ معك في موضوع.

- ليس لديّ سيارَةٌ تُقَلُّني.

- أبعثُ لك سيارَةَ.

- ما هو الموضوع؟

قالَ بآنهُ يُوَدُّ التَّكَلَّمَ مَعِي بِمَشْرُوعٍ.

قبلَ يومٍ زارَني مجموعةٌ لِعَمَلٍ، وهو كانَ بيهمَّ. رأسُهُ
صغيرٌ مُرَكَّبٌ على جُتَّةٍ كبيرة، وعيناهُ صغيرتانِ خبيثتانِ.
لم أكنُ أرتاحُ لهذهِ النّوعيّةِ مِنَ الرّجالِ، أو لِنَقْلِ الشّبابِ.

كانتُ نظراتُهُ إليّ شبيقةً، وأنا أتحدّثُ عن لغةِ الجسدِ في
مقابلهِ تلفزيونيّةٍ. وللتّحدّي فقط، ذهبتُ إليه، فربّما أرادَ
فَحْصَ هذهِ المرأةِ عن قُربِ.

رحتُ كجندِي مُستَعِدِّ لِلْمُواجِهَةِ. وصلتُ إلى غُرفةٍ
محشورةٍ في بنايَةٍ، تبدو وكأنَّها مَرَكُونَةٌ لاعتباراتٍ غريبة.

الغرفةُ مليئةٌ بالحواسيب... شركةُ إعلام.

كانتُ رائحةُ الخمرِ تَفُوحُ منهُ.

- ماذا أردتَ أنْ تعرفَ؟ يكفي أنْ عندي جارةٌ تَعْرِفُ لُونَ

ثيابي، مَلاعقي، شرَاشفَ نُومي، وهي تقومُ بوظائفِها على

أحسنِ وجهٍ في الإعلام.

خَجَلٌ...

وكجندِي مُحارِبٍ قديمٍ اختصرتُ عليهِ المَعركةُ:

- لا عَضُولِي.

بَعْدَ التَّصريحِ ...

لم يَعدِ المَهاثِفُ يُزَعجُنِي.

مَلَكٌ

تُجْرُ الورقةَ على الطاولة... تتنهدُ... تُخرُجُ الآيفون مِن
حقيبتها... تلعبُ به... ثمّ تكبسُ وتضغطُ على زرِّ ما.

تسترقُ النظراتِ فاحصَةً، ما إذا كانَ ثمةَ أحدٌ يُراقبُها.

تتركُ الآيفون... تُخربِشُ على ورقةٍ... تتنهدُ... تمسكُ
بخصلةِ شعرِها... تبرمُها... تتنهدُ...

تضعُ رِجلَها اليمنى على اليسرى، ثمّ تُبدِّلُهُما... تتنهدُ... تفرِّكُ
عينِها... تُغمضُهُما وتفتحُهُما... تُمصِّصُ شفَتَيْها... وتتنهدُ...

تضعُ رِجلَها اليسرى على اليمنى... تفرِّكُ جبينَها... تتنهدُ...
تنظرُ للسَّاعةِ... تُحرِّكُ زنبَرَكَ السَّاعةِ... وتتنهدُ...

تفتحُ التِّلْفَازَ... تُقفِلهُ... تتنهدُ... تُفدِّشُ في الخزانة... توقعُ ما
فيها... تتنهدُ... تُحاولُ اللَّعبَ بالخزانة، ثمّ تنتقلُ مَكانَها.

تضعُ رِجلَها مُتوازيتين... تُلَوِّحُ بهما... وتتنهدُ...

يرنُ الجرسُ... تخرُجُ... والتَّهَيِّدَةُ تكبُرُ...

بلا هُويّة

مُترَبِّصٌ بي أينما وجّهتُ وجهي، وحتّى إن أزحتُ يدي،
كتفي أجدّه رابضًا على صدري، كمن له تأرُّ قديمٌ مَيّ.

لم أعرف من أين خرج لي؟ لا شكلَ له ولا صورة، ولا حتّى
حجم أو ملامس لألتقطه، فأمرغُ شعره مثلًا، أو ليكونَ له
كرشٌ فأبجّه.

وما أن أتخفى كنعامةٍ تدسُّ رأسها تحت الغطاءِ لكي لا
أراه، حتّى أجدّه وقد دسَّ نفسه قبلي في فراشي.

أنتفضُ صارخه، فلا يأبه لصراخي، وأبكي، فلا يتأثر.

أقرأ آياتِ القرآن والمعوذات، فهدأ قلبي قليلاً، إلّا أنّه
سُرعان ما ينقضُّ عليّ كسهمٍ، ليُبجَّجَ روحي، فأدركُ أنّ ثمة
شيئًا دفينًا في داخلي يستبدُّ بي.

حتّى النور الذي كنتُ أراه عند إغماضِ عينيّ اختفى،
فقبله كنتُ أغمضُ عينيّ، لأرى أشجارًا خضراءَ وصحاري،
وأحلامًا كثيرةً أقضيها بين الغابات، وأرقبُ العصافيرَ
وأسمعها، وأفهمُ لغتها عند الفجرِ.

وأجولُ في خيالي، لأرى قمرَ الصحراءِ وألوانَ تربتها الملوّنة
والمتعرّجة، كجسدِ امرأةٍ منحوتٍ في بعضِ مناطقها، أو
كعالمٍ هيووليّ لا حدَّ له.

لكن، ما إن ظهرَ هذا اللّاشيءُ الذي لا أعي معه شيئًا،
حتّى فقدتُ الأحلامَ.

قَطَطُ الجيرانِ وتلكَ السّائبةُ في الشّارعِ لمُ أهملها، والّتي
لمُ تَقُمْ بأيّ شيءٍ يُضايقُني، سوى أنّها كانتُ تتلصّصُ من
وراءِ الشّبّاك، تشمُّ روائحَ التّوابلِ المَغربيّة، وتنهزُ فتحَ بابي،
لتنقِصَ على أيّ صحنٍ يكونُ فيه شيءٌ للّعقهِ، لم تُعدْ تلقى
مَنّي سوى البلادة.

كلُّ ذلكَ لمُ يهَمّني، قبلَ أن يهجمَ عليّ شيءٌ لا صورةَ له،
ولا شكلَ ولا قلبَ.

حتّى أنّه حوّلني لكُرّةِ يدٍ يتلقّفني، ويقذفني، ويركلني كيفما
شاء، ليتمتّع بعدابي .

رائحة

على هذا التّخت أنامُ منذُ سنينَ لا أذكرُها. الرائحةُ تزكمُ
أنفي كأنّها رائحةُ نفايات. لا يُمكنُ تخيلُ هذه الرائحة حتّى في
الكوابيس، لكّتي لا أستطيعُ أن أفتحَ فيّ وأعبّرَ.

لساني لا يقوى على التّحرُّك، وأكادُ أختنقُ.

تأتي امرأةٌ ضخمةٌ ترفعيّ كلّ يومٍ، وتُنظفُ ما تحتي، ولكن
لا أعرفُ مَنْ تكون، وأحياناً يأتي رجلٌ لا أعرفُ مَنْ هو
ويُساعدُها.

أحسُّ أنّي أودُّ الصّراخ، علّهم يُخلّصونني مِنَ الرائحة، لكنّ
لساني لا يتحرّك.

وعندما تُقلّبي المرأةُ بقوةٍ، أحسُّ أنّ عظامي تنزاحُ مِنْ
مكائنها، ولا أستطيعُ أن أتألّم بصوت.

الجميعُ يحسبُ أنّي لا أحسُّ.

أنا لا أذكرُ شيئاً، لكّتي أحسُّ بالألم وبالفرح، والحزنُ هو
مُسكني إلّا مِنْ وجهٍ واحدٍ، عندما يُطلُّ عليّ، يهبُّ لي أنّي
أعرفُهُ؛ امرأةٌ ذات عينيّن خضراوين.

تمتلئُ عينيَّ بالدموع، بل وتأتيني قوَّة، لدرجةٍ أنّي أُحرِّكُ
يدي، وأمسكُ يدها بقوَّة.

كلُّ ما أتمنَّاهُ أن تبقى معي، لكنِّي لا أعرفُها.

تخرجُ ذات العينين الخضراوين وهي مُبلِّلةُ الخدين، تبكي
أبها الذي لا يذكُرُها، لكنَّه ما زال يَشُدُّ على يديها.

سَكِينٌ نَاعِمَةٌ

هي لحظةٌ أو سنين، لا أدري كمٍ استمرَّ في تعذيبي.

أولُّ خطوةٍ قامَ بها قلعُ أظافري، وليتَهُ قَلَعَهَا مَرَّةً واحدةً، ليكونَ أَمَلًا لمرَّةٍ واحدة، فقد تفتَنَ في قلعِها واحدًا بعدَ واحد، بحُجَّةٍ أَلَّا أَقْتَرِبَ لِقَوَارِةِ ترابٍ امتلكَها، خافَ أنْ أَحْفَرَهَا، وَأزْرَعَ فيها وردةً، إذ كانَ يخافُ حَيْثَها الورود.

في قَمَّةِ أَلْهي صرختُ، ولم يسمعي أحدٌ، حتَّى أخواتي وأُمِّي كُنَّ بعيدياتٍ عن فضائي.

قيلَ لي أنا الَّتِي لا تُؤْمِنُ بِالْجَنِّيَّاتِ، إنَّ جَنِّيَّةً استولتْ على عقلِهِ، وأوحتْ لَهُ بخلعِ أصابعي.

حاولتُ الشَّكوى، لأتَها كلُّ ما أملكُ لكتابةٍ ما أكتب.

لكنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِطُرُقِ التَّعْذِيبِ تلكَ، فأحضرَ ديسگًا مُزَعَجًا، وهو واعٍ لما يفعلُ، فمَعَ كَلِّ قَصِي حديدِة تحتَ رأسي، بدأ الجلدُ والشَّعْرُ يَنسَلُجُ عَنِّي، حتَّى وصلَ الانسلاخُ للرَّأسِ.

فجأةً، لم أعد أستوعب من الذي يفعل كل ذلك.
شكوت مرةً أخرى للحجاج والمصلين من الأقارب، ولكنهم
قالوا:

- مسكين، هو وحيد.

مررت الأيام والسّنون، وأنا أعرف حقًا، أنّ ذلك الشخص
الذي كان إنسانًا، فجأةً ومع الوقت، دخلت تلك الجنيّة إلى
رأسه، فمسحت أولًا من رأسه، أنّ هناك من يعرفه في هذا
العالم، ثمّ سلّطت قوّتها كلّها للأخذ بالثأر منّي، لأنّ بصيرتي
رأيتها قبل الجميع، وعرفت أنّها هي المخطّطة لكلّ شيء، وكلّ
ذنبٍ أتى قلت ما كان يجب أن يُقال.

صحوتُ على جلدي المسلوخ، وشعري المحلوق، ومُخّي
الذي أراد أن يخرج من رأسي. نظرتُ فوقّي، لأعرف من هذا
الشخص الذي عمل بي كلّ شيء، وجاء ليتفرّج على
ضحيتي، فوجدته أنّه أقرب عليّ من كلّ وحوش البلد.
كان ظليّ، وقد ضاعت ملامحهُ.

الصَّوْتُ المَمْنُوعُ

منذُ أشهرٍ كثيرةٍ، وهي تُحاولُ أنْ لا يُسمَعَ صوتُها لي. فقط لي. الظَّاهرُ أنَّها تخافُ عندَ سماعي صوتَها، أنْ أقولَ لها مثلاً:
- تَبدِينَ مِن خِلالِ صَوْتِكَ حَزينَةً. تَبدِينَ فَرِحَةً. تَبدِينَ مَهْمومَةً. تَبدِينَ شِجَاعَةً. تَبدِينَ ...

إِخٍ مِنَ التَّكْهِنَاتِ الَّتِي لا تَريدُ أنْ أَكْشِفَها، فاختفاءُ الصَّوتِ هو تَغْيِيبٌ اختياريٌّ بالنِّسبةِ لها، لكَتَها تَنتهِجُ التَّغْيِيبَ القَسرِيَّ معي.

طَبِعا؛ فَهَمْتُ أَنَّها لا تَتَجَرَّأُ أنْ تَتَكَلَّمَ معي بالصَّوتِ، لكَتَها تُحِبُّني، تُحِبُّني لدرجةٍ أَنَّها أرسَلتْ لي رسالةً تقولُ:
- أُحِبُّكَ. أُحِبُّكَ وَأَجْتَمِعُ بِكَ كُلَّ يَومٍ صَباحًا.

ولكَتِي حَرتُ في ذلكَ الاجتِماعِ الَّذِي تَعقِدهُ معي صَباحًا كُلَّ يَومٍ، وأنا لا أَتَواجِدُ فيه، يعني؛ هي تُؤمِنُ بِبَيتِ الرِّسائِلِ عَبرَ الطَّاقةِ، لَكنَ أَيًّا مِنَ تلكَ الاجتِماعِ لَمْ أَشعُرَ بِهِ، وَلَمْ أَحضُرُهُ، وَلَمْ أَعْرِفْ كُنْهَ الاجتِماعِ.

حسنًا، اجتمعت بي.

ماذا تكلمنا معًا في غيابي؟ هل كان صوتها بارزًا أم أثيريًا؟
وهكذا قلتُ في نفسي:

"حسنًا، هي مخلوقٌ ليسَ مِن هذا الواقع، ربّما هي
مخلوقٌ استجدَّ في زمنِ الكورونا، بحيثُ أصبحَ الاجتماعُ
ليسَ فقط عن قُرْبٍ ممنوعًا، بل وأيضًا الصّوتُ؛ فالصّوتُ
مِنَ المُمكنِ أنْ يَبْتَ عبْرَ المايك فيروسًا قد يُضِرُّني".

وأرجأتُ هذا الحُبَّ الغريبَ للكورونا، ووضعتُ كلَّ
الاتِّهاماتِ عليها هذه الكورونا الّتي جعلتِ المُحبِّينَ يجتمعونَ
عبْرَ الواتس، لكن دونَ شكلٍ ولا رائحةٍ ولا صوت.

وأنا لا أُحِبُّ التَّغيبَ، لهذا وَتَّقْتُ اجتماعنا غيرَ المسموعِ
وغيرَ المرئيِّ، والخالي مِنَ الرّائحةِ هنا، عبْرَ هذه السّطور.

الخدمة

ممشوقه القوام تسيّر كل يوم إلى الحانوت، تشتري حاجة يومها، وفي عينها انكسار. تقوم في الصباح، تجرّ عربة أخيها، تُنظف له السرير، تُحضّر له الأكل، تنتظر عند البوابة حتى يعود من عمله، وتفتح البوابة على عجل، لئلا يراه أحد.

تذهب لأُمها المشلولة، تُنظف لها السرير، وترتب أهداب الجميع، ويأتي الليل، ليتركها جثة هامة.

أخوها المعاق من 20 سنة، طلبته بنت للزواج ولم يقبل، فهو لم يرد أن يُثقل كاهلها بخدمته، فعنده خدمة من النوع الممتاز، لا تقول أفّ ولا آخ، وليس لها أعضاء لتفكر بها، فجسدها قد غادر روحها، منذ أن وُكّلت بمهمّة الرعاية الأبدية لبيت مليء بالمعاقين.

ولم تكن سوى فتاة ككلّ الفتيات، مع شعير طويل يتهادى على ظهرها، ممتازة في مدرستها، لكتها لم تتمتع بشعرها ولا بعلماتها، فهي مندورة لخدمة الإخوة الذين رفضوا الزواج.

ولم يُسمع لها صوت أبداً، ولكن عندما وصل الأمر لموت أمها، وظلّت وحدها في بيت يسكنه المرض المزمن، ملأت الشوارع بالصراخ والعيول.

السَّجَارَةُ الثَّانِيَّةُ

كُلُّ مَنْ كَانَ فِي زَاوِيَةِ تَدخِينِ السَّجَائِرِ ذَهَبُوا إِلَّا مَنِّي. ستبدأُ المحاضرةُ الثَّانِيَّةُ بعدَ قليلٍ. إلى جانبي رجلٌ يُصَقِّفُ شَعْرَهُ على شكل "كوتْسِيم" بالتعبيرِ العبريِّ، وبتعبيرِ ابنةِ أخي التي تحلُّمُ بالزَّواجِ مِنْ شَابٍّ لَهُ كوتْسِيم؛ أيُّ يُجَبِّصُنْ شَعْرَهُ وَيُوقِفُهُ بمادَّةٍ صمغِيَّةٍ (جِلِّ)، لِيَبْدُوَ شَعْرُ رَأْسِهِ واقفًا مثلَ الأشواكِ.

صاحبُ الكوتْسِيمِ مَلامِحُهُ عَرَبِيَّةٌ، بدليلِ أَنَّهُ يَخْتَلِسُ النَّظْرَ إِلَيَّ مِنْ زَاوِيَةِ عَيْنِيهِ، لِيَتَأَكَّدَ مِنْ هُوِيَّتِي، وليأخذَ راحتهُ بالكلامِ، وحينَ كَانَ بَيْنَ الشَّكِّ واليقينِ سمعتهُ يقولُ:- ألو... طلبتُكِ أَكثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ولم تَرُدِّي. مشتاقٌ لك. تعرفينَ ذلك.

يقفُ فجأةً:- الآن... وواوو... عليَّ أَنْ أُسرِعَ. ستبدأُ المحاضرةُ. عليَّ أَنْ أُسرِعَ. أتعرفينَ؟ سأهربُ مِنَ المحاضرةِ.

لسببٍ ما تبدأُ رجلاهُ بالاهتزازِ، بعدَ ذلكِ يَصِلُنِي بعضُ كلامِهِ، والبعضُ الآخرُ لا يَصِلُنِي:- مشتاق... شوو... آآآآه... وأنا أيضًا... أدلِّك... مطرٌ كثيرٌ... هنا... يافا... لا أعرف...

الظَّاهِرُ أَنَّهُمَا اتَّفَقَا على اللِّقَاءِ فِي يافا، لكنَّهُ استَبَقَ لِقَاءَ يافا، لِيَكُونَ على الكرسيِّ، إذ أعلنتُ رجلاهُ الثَّورَةَ، وقبلَ أَنْ يُحوِّلَ الاهتزازَ لرقصةٍ أُخرى، انسحبتُ بسرعة.

نظافةٌ

هي ميةٌ الآن.

لن أنشغلَ بعددِ فُوطِها التي اهترأتِ من كثرةِ استعمالِها، ولا بعددِ البلاطاتِ التي كانتِ تدعُكُها يومياً بالليفةِ والصّابونِ، ولا بعددِ أكياسِ النايلونِ التي كانتِ تَخنُفُني، وهي تُغَطِّي بها أحذيتيها التي تعبتُ من كثرةِ ألوانها.

لن يُغيظُنِي وجودُها فوقِ بَعْدَ الآنِ، وسَكُيها الماءَ على شبابيكِي، ولا صوتُ المنظفِ الكهربائيِّ فوقَ غرفةِ نومي في أوّلِ التّهارِ، ظُهراً، وعَصراً، وفي منتصفِ اللّيلِ، ولنُ أسمعَ طقطقةَ أواني المطبخِ التي لا تستقرُّ في مكانها، وهي تُنظِّفُها من نفسِ أيِّ زائرٍ يدخلُ بيتها.

هي ميةٌ الآن...

لن أهتمَّ بنوعِ عَطْرِها، ولا بعددِ شالاتها المتراكمةِ في خزانتها، والتي كانتِ تَسْرِقُ نَوْمَها، وهي تُرْتَبُها في الخزانة.

هي ميةٌ الآن...

فلا اسمُها ولا رسمُها ظلّاً على البلاطِ اللّامعِ.

هي ... الآن...

لكنّ هدوءاً غريباً حلَّ محلّها ليقتلني.

هدوء

هو ميتٌ الآن...

الآن... لن أسمع زعيقَهُ في أوجِ ثماليتهِ في آخرِ الليلِ، وهو يُنادي على أسماءٍ غابت عن الدنيا.

الآن... لن يتسلَّلَ إلى حقيبي، ويُفتِّشَ فيها عن عناوين أطبائي، أو عن فتاتِ فلوسٍ باقية.

الآن... لن يُتعبَنِي بأسئلتِهِ عن أرقامِ هواتفٍ وأسماءِ صديقاتي، وعن كتبي، وحتى عن عددِ رموشي، ولن أضطرَّ لصبغِ شيبِ رأسي، ليكفَّ عن عدِّ الشَّيبِ فيه.

الآن... سأتمدِّدُ على السريرِ دونَ الاصطدامِ بمؤخَّرتِهِ العتيقة. سأتمدِّدُ على مساحاتِ السريرِ كلِّه، وأتقلَّبُ كما أشاءُ، وأشخُرُ بصوتٍ عالٍ بعيداً عن كرشِهِ.

الآن سأنامُ والشبابيكِ مفتوحة، لن أختنقَ بأنفاسِهِ النَّتنة.

هو ميتٌ الآن...

لن أضطرَّ أنْ أغلي لهُ القهوةَ على الرِّيقِ، ليصحَّو من ليلتِهِ الفائتة، ولن أضطرَّ للاغتسالِ في عِرِّ البردِ، ولن أضطرَّ

لنتف شعراً إبطين، ولا تمليس شعري الأجدد الذي كرهه.
سأبقى على حاله حراً طليقاً بخصلاته السوداء الخشنة،
وسأقذف بعلب الماكياج التي أرهقت خزانتى، وكلّ ملابسى
التي أحبها.

هو ميت الآن...

كم سيبدو بيتي خفيفاً ولطيفاً الآن.

استفاقت من منامها، لتسمع شخيرته وقد مآل الغرفة.

جزءٌ مني

هناك يركنُ هادئاً بلا ضوضاء، ولا تُلازمُهُ لعنةُ فرعونيةٍ
لِيُزعجَ مَنْ حوَّلَهُ. يركُنُ في تلكَ الأعماق.

تري، هل ما زالَ يشعرُ بما أشعُرُ به؟ هل ما زالَ يَضجُ
بذكرى ما ذقناه معاً أثناءَ تلكَ السَّفرات، والركضِ في حواشي
الطُّرق الليليةِ؟

عندما كنتُ وإياهُ صغيرين، كنتا نتفقُ الطُّرقَ الملتويةَ في
لعبةِ الغمِيضة، أو نريضُ معاً في مفاجأةٍ طفلي لنلقي القبضَ
عليه. كانَ ذلكَ الجزءُ يسبقُ الرِّيحَ.

هو يريضُ في مكانهِ الآن، لا يستطيعُ الانضمامَ إليَّ وبثَّ
الذكريات. أذكرُهُ بالتفصيل؛ كانتُ لهُ أصابعُ قصيرة، وعنقُ
طويلٌ حتَّى الركبة، مُشعَر، في أسفلهِ رِضتُ رضوضٌ وأثارُ
جروحٍ كثيرةٍ مِنَ الرِّكضِ.

مِنَ الرِّكضِ؟

نعم مِنَ الرِّكضِ... وَمِنَ الرِّكضِ.

أيُّ رِكضٍ منهما؟

الرِّكضِ وراءَ أولئكِ الأطفالِ (الدجاجات)، هكذا سمَّيناها

الَّذِينَ لَمْ نَكُنْ نَعِي كَيْفَ يَظْهَرُونَ لَنَا، وَمِنْ آيَةِ زَاوِيَةٍ. كُلُّ طِفْلٍ
مِنْهُمْ تَحَوَّلَ إِلَى عَيْنٍ كَبِيرَةٍ بِحِجْمِ الْفَضَاءِ.

لَا أَذْكَرُ مَلَامِحَهُمْ، كُلُّ مَا أَذْكَرُهُ فَمَا مَفْتُوحًا، يُوَدُّ قَوْلَ
كَلِمَةٍ قَبْلَ الْانْطِفَاءِ الْأَخِيرِ.

لَمْ أَكُنْ سِوَى أَرْجُلٍ تَرْكُضُ، تَلْهَثُ لِأَغْتِصَابِ دِمِّ جَدِيدِ.
فِي خَانَ يُونَسَ، فِي غَزَّةَ، فِي جَنِينِ، أَقْدَامُ تَرْكُضُ وَتَلْهَثُ بِلَا
اسْتِكَانَةٍ.

أَحْيَانًا، يَسْتَبِدُّ بِي هَاجِسُ الدَّهَابِ إِلَى ذَلِكَ الْجِزءِ وَالْكَشْفِ
عَنْهُ. رَبِّمَا مَا زَالَ عَلَى حَالِهِ، أَوْ رَبِّمَا تَحَوَّلَ، وَأَصْبَحَ شَيْئًا آخَرَ.
كَلَّمَا مَرَرْتُ مِنْ هُنَاكَ، أَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ نَفْسِي جُثَّةً هَامِدَةً،
لَأَنْضَمَّ إِلَيْهِ فِي الْعِنَاقِ. حَتَّى الْعِنَاقِ مَعَهُ أَصْبَحَ غَرِيبًا كُلَّ
الْغَرَابَةِ، إِذْ سَبَقَنِي إِلَى مَكَانِهِ بِسَنِينَ طَوِيلَةٍ.

"قَبْلَ أَنْ يُبْعَدُوا هَذَا الْجِزءَ عَنِّي، كُنْتُ مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ،
حِصَانًا، أَسَابِقُ الرِّيحِ وَرَاءَ أَيِّ شَيْءٍ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَصِلَ بِي إِلَى
الْأَعْلَى، دُونَ أَيِّ تَخَاذُلٍ أَوْ تَرَدُّدٍ."

هَكَذَا فَكَّرَ الْجَنْدِيُّ الَّذِي كَانَ عَمَلِقًا، كَلَّمَا مَرَّ بِالْمَقْبَرَةِ الَّتِي
تَنْتَظِرُهُ عَلَى حَاقَةِ الشَّارِعِ.

تعليقات

1

فتح كاتبٌ معروفٌ خانةَ التعليقِ في موقعِ أدبيِّ في العالمِ الافتراضيِّ.

للأولى كتبَ أحدهم:

- حتى ينامَ القمر.

للثانية:

- أنتظرُكِ بلذاعة.

لِلثالثة:

- تُثيرينَ بي... شهوةَ ال... قراءة.

للخامسة، للسادسة، لل... إلخ... بعدَ ذلك سجَّلَ
التعليقاتِ على ملفِّ، وبدأ يَنسخُهُ للجميع.

في ركنٍ ما من مدينةٍ بعيدة، ثمَّةَ كاتبةٌ كشفتُ أمرَهُ،
كتبتُها، ثمَّ شطبها من بروتوكول اللِّقاءِ القصصيِّ، وبحثَ عن
قصيدَةٍ أخرى.

تَعْلِيقات

2

قال لي:

- لعينيكِ شهدُ القصيدة.

واستخسرَ بي اسمي.

فتخاذلتُ شرفتي، عن فتحِ مصراعِها لمعسولِ كلامه.

تَعْلِيقات

3

كلّما أَحَبَّ شاعرةً، ظهرتْ تعليقاتُهُ على كتاباتها:

"مطرُكُ غزيرٌ، أمطري".

"كثيرٌ من السيولةِ يُبلِّلُ الكاتبة".

ينتهي من حُبِّها، فيجفُّ التبُّع.

بَحَّارٌ

يَوْمٌ هَادِيٌّ نَسْبِيًّا، أَعْقَبَ تِلْكَ الْأَيَّامَ الْعَاصِفَةَ الَّتِي مَلَأَتْ
دُخَانُهَا أَجْوَاءَ رَفْحٍ. أَمْوَاجُ الْبَحْرِ تَبْدُو حَزِينَةً، فَهِيَ تَتَلَوَّى
بِالْمِمْ، ثُمَّ تَسْتَكِينُ عَلَى الشَّاطِئِ، وَمَا تَلْبَثُ أَنْ تَعُودَ مَهْزُومَةً
يَأْسَةً، لِتَحَاوَلَ الْكِرَّةَ مَرَّةً أُخْرَى.

عَلَى تَلَّةٍ صَخْرِيَّةٍ جَلَسَ فِي الْمَقَابِلِ رَجُلٌ أَسْمَرٌ، حَدَقَ فِي
الْبَحْرِ بَعَيْنَيْنِ غَارَ بُوْبُوَاهُمَا الْمَحَاطَانَ بِيْبَاضٍ قَدْ أَحْمَرَ مِنْ
ضَرْبِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ، وَانْتَفَخَ جَفْنَاهُ حَتَّى بَرَزَا فَوْقَ خَدَّيْهِ،
وَانْفَرَجَتْ شَفْتَاهُ الْمَشَقَّقَتَانِ عَنِ أَسْنَانِ صُفْرِ، سَجَلَتْ
فَوْضَاهَا عَلَى لَثَّةٍ تَمِيلُ إِلَى السَّوَادِ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا قَدْ
عَاشَرَ السَّيْجَارَةَ سَنِينَ طَوِيلَةً.

تَنْحَنَحُ الرَّجُلُ نَحْنَحَةً تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْبَحْرِ وَالْعَاصِفَةِ
وَالْمَغَامِرَةِ، فَمَا زَالَتْ عَضَلَاتُهُ تُشْهَدُ عَلَى مُعَارَكَتِهِ لِلْأَمْوَاجِ،
وَأَنْفَاسُهُ الْحَارَّةُ الرَّجُولِيَّةُ مَا زَالَتْ حَيَّةً تَنْتَظِرُ الْفَرْحَ.

مَا جَاءَ إِلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ، إِلَّا لِتَرْقُبَ ذَلِكَ (الْمَعْتَقَلِ) أَمَامَهُ،
وَالْأَسْلَاكُ الشَّائِكَةُ تُحِيطُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَيَزْفُرُ بِحَسْرَةٍ:
"أَهْ يَا بَحْرَ غَزَّةَ. يَا قَارِبِي الْحَبِيبِ، صَدْنْتُ الْآتُكَ وَتَقَشَّرُ

دهانك. كم ناضلت معي أيام الشدائد، وكنت دومًا كريمًا
معي. كم نوعًا من السمك زارك؟ كنت ونيسي في كرمك.
ركبنا البحر معًا. تحدينا العواصف معًا. أيعقل أن البحر
يُعتقل؟"

ضحك ضحكاتٍ تشبه البكاء، وزفر زفرةً ناريةً، وكلّ يومٍ
في مثل هذا الوقت يزور الشاطئ، ويُناجي القارب المعتقل
كعاشقٍ قديم.

يتحدّث لنفسه مُستدعيًا الصّوت:

"أنت بروخ من هون. أنت خطر هون."

- لا أفعلُ شيئًا سوى التّحديق في البحر.

- لا... أنت لازم بتخطّط شيء هون.

قال الجنديُّ بلكنته المُعرّبة.

زفرَ الرّجل، وقضى سنينَ في المعتقل دونَ تُهمة، لكن
دُبرّت له تُهمة، بأنّه كان يودُّ أن يقطع البحر، ثمّ قيلَ عنه:
- "محبّيل"؛ أيّ مُخرّب.

قاربه قد تلاشى، بضعُ خشباتٍ مُبعثرة تدلُّ عليه. لملّمها،
وأخذها، وغرّسها في حديقة بيتِه، كأنّه استعداد بيتَه المُغيّب.

غِيَابٌ

1

العاشرة ليلًا...

قالت له:

- عليك إتقان طقوس الغياب.

كأسُ نبيذِهِ أوشكَ على الفراغ.

يتذكّرُ فحيحَهَا. هيَ لجوارِهِ تمامًا. ودَّ لو يُوقظُها من نومِها، لكنَّهُ تراجعَ مَخَافَةَ اهتِزَامِهِ، فهو بطلٌ بدويٌّ مشهودٌ له بالحروب؛ بالسَّيفِ والقرطاس.

يشدُّ فَخْدَيْهِ، لكي لا يتشَنَّجَ سرِوَالُهُ.

يستحمُّ بماءٍ بارد، فيبردُ السَّرِوَال.

غياب

2

قالت له:

- سأحترمُ غيابك.

جبرها يوشك على الجفاف.

هو لجوارها تمامًا. تودُّ لو تُوقظهُ من نومِهِ، لكنّها تتراجعُ
مخافةً انهزامها.

فهي فلاحَةٌ مشهودٌ لها بالنّضال ضدَّ حرثِ الأرض.

تشدُّ فخذَيْها، لكي لا يسبقها ماؤها إلى الحمّام.

تسكُبُ في جوفِها فلفلاً حارّاً. يحترقُ حلْقُها.

يتسلّلُ من غيابه، ليرطبَّ حلْقَها، وقبل أن يُدغدغهُ
لسانُها تحتَ إبطه.

تصحو فجأةً، لتصطدمَ بالفراغ.

رادار

ينتصبُ في وسط منصّةٍ لَحْمِيَّةٍ، ذي قناتين دائمتي التَّحْرُكُ يمينًا وشمالًا. وَيُخَيَّلُ لِلنَّاظِرِ إِلَيْهِ، أَنَّ فَتْحَةَ اليمين تكادُ تكونُ ضِعْفَ فَتْحَةِ اليسار، ولهذا تتسعُ لتسْرُبِ أشياء أكثرَ ممَّا يشتهي صاحبُ المنصّةِ.

لقد شاعَ في حِينَا أَنَّهُ عَلَيْنَا الِابْتِعَادُ قَدْرَ الإِمْكَانِ، عَن ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي مَا إِن تَسْرَبُ أَيُّ كَلِمَةٍ أَوْ رَائِحَةٍ لِإِحْدَى قَنَوَاتِهِ، حَتَّى يَنْقَلُهُ إِلَى السُّلْطَاتِ الَّتِي لَا تَتَرَدَّدُ فِي تَعْلِيقِ أَوَّلِ مَثَمِّهِمْ عَلَى المَشْنَقَةِ.

وَأَنَا الَّتِي لَا أَعْرِفُ ضَبْطَ اللِّسَانِ، أَصْبَحْتُ أُغَيِّرُ الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِنَا، خَوْفًا مِّنْ لِقَاءِ ذَلِكَ الشَّيْءِ، وَلَكِنَّ جَارَتِي سَجَرَتْ مِنِّي قَائِلَةً:

- أَيُّهَا المَغْفَلَةُ، لَيْسَ المَهْمُ تَغْيِيرَ الطَّرِيقِ، عَلَيْكَ بَأْنَ لَا تَرُشِي أَيَّ نَوْعٍ مِّنَ الرِّوَائِحِ، فَهُوَ يَمْشِي حَسَبَ الرِّائِحَةِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الطَّرِيقِ أَوْ الكَلِمَةِ.

أَصَابَنِي رُعبٌ غَيْرُ عَادِيٍّ، إِذْ إِنِّي أَضَعُ عَطْرًا مِّنْ نَّوْعِ أَنْجَلِ Angle، وَهُوَ نَوْعٌ مُّمَيِّزٌ، وَلَنْ يَصْعَبَ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ تَمْيِيزِي.

ارتدعتُ عن رَشِيٍّ أَيِّ عَطْرِ، وتحوّلتُ لامرأةٍ بلا رائحة،
لكَيِّ نَسِيْتُ أَنَّ الثَّوْبَ الأزرقَ الَّذِي سِرْتُ به، كانَ مُشَبَّعًا
بالرائحةِ منذُ أسبوعين، ولم يكنْ صعبًا على ذلك الشَّيءِ
التقاطِ الرائحةِ المُعتَقَةِ في الثَّوب.

بعدَ يومينِ وجدتُ رسالةً في بريدي الخاصِّ، تُفيدُ إِقالتي
مِنْ مكانِ عملي، والسَّببُ وضَعُ العطرِ الممنوع.

الأشباح

كلّما مرّت الأختان (أنغام) و(مرح) من جانب تلك الغابة، حبستنا النَّفس، خوفاً من أن يأتيهما ذلك الصّوت الذي حدّثهما عنه جدُّهما.

حاولتا الدّهَابَ إلى خالتيهما دون المرور بتلك الغابة، لكن لا طريقَ أخرى، وهذه الغابةُ في أصلها من أرض بلديهما، لكنّ الحكومة صادرتها قبل ما يقرب من ثلاثين سنة، وحوّلتها إلى حُرشٍ، بحجّة أراضي الغائبين ممّا يُقال عنها (تتوش) أي متروك، وكأنّ أهلها تركوها بإراداتهم، ولم يتمّ تهجيرهم بالقوّة.

نسي النَّاسُ مُشكلة الأرض التي أصبحت غابةً، لأنّ خوفاً كبيراً احتلّ كلّ السُّكّان، نتيجة ما حدّثه شيخٌ جليلٌ عن تلك الغابة، وهو جدُّ الفتاتين (أنغام) و(مرح)، وهو ليس الجدُّ المباشر، فهو جدُّ الأمّ، والأمُّ حدّثتهما عن الأشباح التي قال عنها الجدُّ الأكبر، وكما روى الجدُّ الحكاية:

- كنتُ في ليلٍ عاصفٍ أمرُّ من جانب الغابة، ولم يكنْ

هناك سُكَّانٌ يَسْكُونُونَ مِنطَقَةَ عَيْنِ جَرَارٍ¹ بَعْدَ.

كنتُ آنذاك مُسَلِّحًا، ومعِي بارودة. وبينما أنا أَلْفُ كُوفِيَّتِي، رأيتُ خيالَيْنِ لِشَخْصَيْنِ ضَخْمَيْنِ يَتَّجِهَانِ صُوبِي. كنتُ آنذاك شابًّا صَغِيرًا، فارتعبتُ، وأطلقتُ عيارًا فِي الهَوَاءِ، وَلَكِنِّي لاحتُظْتُ بِأَنَّ الشَّخْصَيْنِ كَانَا كَالظَّلَيْنِ، كُلَّمَا اقْتَرَبَا، زَادَ طُولُهُمَا. أدركتُ عِنْدَهَا بِأَتَهُمَا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" مِنْ الْجَنِّ، وَبَدَأْتُ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَاحْتَفِيَا.

نامتِ ابنتُهُ مَرَعُوبَةً، وَكَلَّمَا هَمَّتْ بِالنَّوْمِ، غَطَّتْ رَأْسَهَا بِاللِّحَافِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَتَخَيَّلُ أَتَهُمَا يَمُرَّانِ مِنْ فَوْقِهَا، فَتَرْفَعُ اللَّحَافَ تَدْرِيجِيًّا عَنْ وَجْهِهَا، وَلَا تَجِدُ شَيْئًا. وَمَرَّتِ اللَّيَالِي وَلَمْ تَدُقْ طَعَمَ النَّوْمِ، وَلَمْ تَجْرُؤْ عَلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْمَوْضُوعِ، حَتَّى كَادَتْ تَنهَارُ مِنْ قَلَّةِ النَّوْمِ، فَسَأَلْتُ أُمَّهَا إِذَا كَانَ حَدِيثُ جَدِّهَا صَحِيحًا، فَقَالَتْ لَهَا الْأُمُّ:

- كَيْفَ لِي أَنْ أَعْرِفَ؟ وَلَكِنْ جَدِّكَ لَا يَكْذِبُ. بَعْدَ أَنْ

كَبُرَتْ الْأُمُّ وَتَزَوَّجَتْ، نَقَلْتُ الْحِكَايَةَ لِابْنَتِهَا خَوْفًا

*1 عين جرار هي حيٌّ من أحياء أم الفحم.

عليهما، لأنَّها كانت قد سمعت حكايةً أخرى، ولم تسمع
لنفسها ولا لبناتها زيارة الخالة، إلا في التَّهَار، فكنَّ يركبن
الحمار، ويسرنَّ ببطءٍ يحبسُنَّ أنفاسَهُما. ولم تكن الطَّريقُ
طويلةً، لأنَّ الغابة امتدَّتْ أكثرَ للعمقِ بشكلٍ طويلاً، أمَّا
عرضُها على جانبِ الشَّارع، فلم يكن كبيراً. وعندما تصلُّ
البتنان، تلاحظُ الخالَةَ أنَّ وجهيَّهما شاحبان، فيَقْصُصُنَّ
عليها القِصَّة.

تضحكُ الخالَةُ وتقولُ لهُنَّ:

- إنَّها مُجرَّدُ خرافاتٍ يا ابنتاي.

- ولكنَّ الجدَّ لم يَكُنْ يكذب.

حاولتُ أنْ تُقنِعَهُما بأنَّ الجدَّ ربَّما رأى ظلالَ الأشجار
تتحركُ، إذ لم يكن كهرباء، وعلى حدِّ تَدَكُّرِها، كانت ليلةً
مقمرَةً. إذن؛ ظهرَ ظلُّ الأشجار. ولكنَّ القِصَّةَ الحقيقيَّةَ
التي عرفتها بعد ذلك، أنَّ أُختينِ قُتِلتا ورُميتا في تلك
الغابة، ونتيجةً إيمانِ الجدِّ أنَّ المقتولَ لا بُدَّ أن تكون له
روحٌ تُطارِدُ القاتلَ، تمثَّلَ له الأمرُ بالجنِّ.

قَبَّعَةٌ

تَأَمَّلَتِ الْقَبَّعَةُ نَفْسَهَا جَيِّدًا، لَوْنُهَا الرَّمَادِيُّ الْمَائِلُ لِلسَّوَادِ،
بَدَأَ يَعْتَبِرُهُ بَعْضُ الْخَجَلِ، حَتَّى بُهِتَ وَاصْفَرَ. فَجَاءَهُ، نَظَرَتْ
دَاخِلَهَا، فَوَجَدَتْ الْفِرَاقَ. كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضٌ فِي وَجْهِهَا.
ذَلِكَ الَّذِي مَلَأَهَا لِسِنَوَاتٍ، فَلَتَ مِنْهَا ذَاتَ صَبَاحٍ غَائِمٍ.
أَطَلَّتْ لِدَاخِلِ الْفِرَاقِ وَتَحَسَّرَتْ:

"هنا كانت مساحةٌ بُنِيَّةٌ مَكشُوفَةٌ، كُنْتُ أَنَا مَنْ أَحْتَضِنُهَا
وَأَحْمِيهَا مِنْ سَطْوَةِ الشَّمْسِ، وَإِذَا مَا أَمْطَرَتِ الدُّنْيَا بَغْزَارَةً،
ابْتَلَّتْ مُنْتَعِشَةً، فِيمَا تَلَكِ الْكُتْلَةُ الْمَلَسَاءِ الْبُنِّيَّةُ تُصَيِّبُهَا
الرَّعِشَةُ، فَتَخْتَبِي فِي جُتِّي، تَحْتَ سَقْفِ إِحْدَى الْعِمَارَاتِ
الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى أَرْضِ الطَّرِيقِ.

رَافَقْتُهُ فِي الصَّبَاحِ، فِي الظَّهْرِ فِي الْمَسَاءِ، وَلَمْ يُفَارِقْنِي إِلَّا
إِذَا أَرَادَ رُكُوبَ السَّرِيرِ، فَأَشْعُرُ بِأَنِّي قَمْتُ عَنْهُ بِلُطْفٍ،
وَيَضْعُونِي قَرِيبَةً مِنْهُ.

حَتَّى عِنْدَمَا كَانَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الْحَرُّ، لَمْ يَكُنْ يَخْلَعُنِي أَبَدًا.
كُنْتُ أَرَا فِقْهُهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، أَحْتَلِسُ السَّمْعَ إِلَى كَلِمَاتِهِ
الشَّهْدِ، فَيَسِيلُ لِعَابِي لِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ، أَضْعُهَا دَاخِلِي، أُخَيِّبُهَا

له، حتّى إذا ما دخلَ لعُزْلَتِهِ، غرَفَ مِن داخلي كلَّ ما تساقطَ
على الطّاولاتِ مِن كلماتٍ عابثةٍ مجنونة، التقطَها ودوّنها.
أحبُّهُ النَّاسُ بفضلي، والقصائدُ الّتي كتبتُ خرجتُ مِن
داخلي دونَ عِلْمٍ منه هو.

لم أعرفَ لِمَ غادرني؟ ومتى وكيف؟

قبلَ فترةٍ رأيتُهُ يتمشّي بصحبةٍ واحدةٍ تُشبهني.

خلعتني عنه، لأنّه أرادَ نسيانَ مَنْ كانتُ تُحبُّني فيه، أو
تُحبُّه فيّ.

سأبحثُ بدوري عن رأسٍ آخر."

الرَّجُلُ الطَّوِيلُ

في يومٍ قاطِطٍ، حلَّ ببلدنا رجلٌ غريب، قامته أطولُ من
قامةِ رجلٍ عاديٍّ، بحيثُ أصبحَ ذا أطولِ قامةٍ في بلدنا. وضعَ
على رأسه عمامةً كرجالِ الأزهر، ولبسَ عباءةً من الحريرِ
الفاخر بلون "بيج".

تكلّمَ الرَّجُلُ الطَّوِيلُ باللّهِجَةِ المِصرِيَّةِ، وكنتُ مهووسةً
باللّهِجَةِ المِصرِيَّةِ، كعشراتِ المهووساتِ من بناتِ جيلي
آنذاك، وعرفنا أَنَّهُ يُقيمُ في بلدنا ويُديرِ ندوات، فركضنا
لسماعه.

وفي إحدى النّدوات روى لنا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ عن البَطِيخَةِ
الَّتِي أَطَلَّتْ عليه مِنَ الشَّبَاكِ، وسقتهُ مِنِ عَصِيرِهَا، عندما
كانَ سَجِينًا إِبَانَ حُكْمِ عبدِ النَّاصِرِ، وحدثنا أحاديثَ
جعلتُنا ننامُ واقفاتٍ.

عُدنا لبيوتنا ونحن نرتجفُ خوفًا، وكلُّ مِنَّا تحسّستُ
مكانَ صدرها، وهي تتذكّرُ كلماتِهِ:

"يَوْمَ الآخِرَةِ سَتُعَلِّقُ النِّسَاءُ العَارِيَاتُ الكاسِيَاتُ مِن
أثدائِهِنَّ، وَمِنِ شعورِهِنَّ."

لم يَمُرَّ أسبوع، حتَّى لفقنا أنفسنا بالشَّالات، حتَّى بدونا
بلا ملامح، وبعد أشهرٍ، ضبطهُ أحدُ الرِّجال متأبِّطًا ذراعي
ابنتيهِ الشَّبهِ عاريتين.

كُشفَ أمرُهُ، وتبيَّن بأنَّهُ يهوديِّ مصريِّ، جاءَ لِمَهدي أهلَ
بلدنا إلى طريق الصِّراطِ المستقيم.

تلقَى الرِّجلُ الطَّويل ضربًا مُبرحًا، وفَرَ من بلدنا بعد
فواتِ الأوان.

مديرة

1

حازمة، لا أحدٌ يُجادلُها، وعلى جميع مَنْ في مؤسَّستها أن يكونَ مثلَ الدَّولاب، لكي تكونَ المدرسةُ بأعلى مستوى.

وفعلاً نجحتُ، واختيرتُ مدرستها كمدرسةٍ نموذجيةٍ.

هي تعرفُ من أين تُؤكَلُ الكتف، فالبلديةُ تُلبِّي طلباتها، لأنَّها قائمةٌ بالواجباتِ الدِّينيةِ.

المخابراتُ راضيةٌ عنها، منذُ أن مَحَتَ تاريخَ أبيها المناضل وتنصَّلتُ منه. وكذا المُحقِّقونَ يتعاونونَ معها، لو لوى أيُّ مُوظَّفٍ أو أيُّ كائنٍ ذيلُهُ معها. وبفضلِ حزمِها، حازَ طلابُ مدرستها على أعلى نسبةٍ جهلٍ، بكلِّ ما يتعلَّقُ بتاريخِهم الفلسطينيِّ.

بناءً على ذلك؛ كَرَّمَتُ بوسامٍ صنَّعَ مِنَ الذهبِ، لإخلاصِها لمبادئِ الوزارةِ الإسرائيليَّةِ.

مديرة

2

المديرة لا تحكي إلا وسبابتها مرفوعة، حتى لم تكن تتردد
في أن ترفع سبابتها في وجه امرأة عجوز قائلة:

- أنا لا أحمئن ولا أكرهئن.

متناسية أن من تقصدهن هن بنات العجوز.

تتحول العجوز بالله، وتلعن من كان السبب في إحضارها
لبيتها.

تعود المديرة لبيتها، بينما تترك العجوز مع عينتين طافحتين
بالدمع.

حكايةٌ طويلةٌ

لا أُصدِّقُ، كأنِّي أقابُلُها لأوَّلَ مرَّةٍ... لا تمتُّ بِصِلَةٍ لِنَفْسِهَا.
عرفتُها ذاتَ وجهٍ فيروزيّ. فجأةً، وجهُها أصبحَ مليئًا، تدوَّرَ،
كذلكَ جسدها. هل يمكنُ أن تكونَ إضافةً بعضِ الكيلواتِ
مِنَ اللَّحْمِ تُغيِّرُ قلبها؟

لا أُصدِّقُ أنَّها أصبحتُ بتلكَ القسوةِ.

روحُهُ شقافةٌ أرقُّ مِن زجاجِ الماءِ، يَنكسرُ لكلمةٍ عابرةِ،
فكيفَ سمحتَ لِنَفْسِهَا تلكَ المرأةُ، بتكسيرِ زجاجِهِ حتَّى
الطَّحنِ؟

بالتأكيدِ ليستُ هي.

قلتُ:

- عليّ قتلُ هذهِ المرأةِ الَّتِي تُشبهني، قتلُ زوائدِها العفنةِ
الَّتِي حلتْ عليّ.

شطبْتُ الوجهَ المُدوَّرَ مِنَ اللوحةِ، وعُدتُ للوجهِ الفيروزيّ.

اختيارُ

اختارتُ أنْ تقومَ بدورِ الملاك، كالذي يُكَلَّفُ في الآخرةِ بتسجيلِ السيِّئاتِ، فإذا تكَلَّمْتُ في حضرتِكَ، ودخلتُ نملةً لعينِكَ وحاولتِ إزالتها، تُسجِّلها في ميزانِ السيِّئاتِ؛ ففي عُرفِها ممنوعٌ تعطيلُ مشهدِ الكلامِ.

وإذا تَثاءبْتَ وسطَ محاضراتِها عَنِ المنطقِ، سجَّلَتْها في لوحِها المحفوظِ. أمَّا إذا تَثاءبْتَ هي؛ فذلك، لكونِها صاحبةً مسؤولياتٍ مُتعبةِ.

وإذا دخلتُ ذبابةً في أنفِها، اعتبرتها أُنْها دسٌّ مِنَ الأعداءِ، وبررتُ موقفَها. ولا يمكنُ أنْ تنسى أَيَّ حرفٍ لا يُعجِبُها، حتَّى لو بَدَرَ مِنَ ملاكٍ أبيضَ، ستتهمُّه بأنَّه نقلَ أوراقَهُ للانتسابِ للشياطينِ.

لهذا، فالمسكينةُ تنذمرُ لضيقِ الوقتِ، لكثرةِ انشغالِها بتسجيلِ عيوبِ وآثامِ غيرها.

انتهاك

بينما فناجينُ القهوة تُثرثرُ حولي، والمنفضةُ مليئة،
وصحنُ لوزٍ مُقشَّر، ودواء، وزجاجاتُ ماءٍ فارغة، وبرتقالاتٌ
ينتظرنَ لمسهنَّ منذُ أيَّام، واكتئابٌ يَضجُ من رُوحِي حدَّ
الفرع، يتّصلُ بي:

- سأذهبُ اللَّيلةَ معَ الأصدقاء.

"أحسدهُ".

هو يَسهرُ، ويركبُ دراجتَهُ وسطَ اللَّيل، بينما أشيائي
المُكومةُ تنتظرُ من يرتبُ فوضاها.

يُطرقُ الباب. أفتحُ الباب فأرى ظِلَّهُ.

أغلقُ الباب، فأرى ظِلَّهُ.

أخذُ للنوم، فيسبقني، ليتوسدَ وسادتي مُبتسمًا بعينين
مُغمضتين.

حبلُ غسيلٍ

في حيٍّ صغيرٍ محشورٍ بين أزقةٍ مُخَيِّمٍ قد صدَّتْ
جدرانُه، احتارتْ مريمُ أين ستَنشُرُ غسيلَ أولادها السَّبعة.
مدَّتْ حبلًا إضافيًّا في ساحة البيت، ربطتُه بين شجرة
النَّخيلِ المُعمَّرةِ هناك، وبين عمودٍ حديدٍ تُبِتَ كحدِّ يَفْصَلُ
بينها وبينَ الجيران، وكلَّما هَمَّتْ بِلَمِّ الغسيلِ، كانت إحدى
القِطْعِ تطيرُ لبيت الجيران، فتذهبُ لأخذها معتذرةً.

تلكَ الملابسُ المعلقةُ ما لبثتْ أن تناقصت، فاستغنتْ
مريمُ عن حبلِ الغسيلِ الَّذي نصَّبتُه.

وما هي إلا أيامٌ حتَّى انقطعَ حبلُ الغسيلِ الثَّاني، ولم تُعُدْ
تحتاجُ له، ومشَّتْ وحدَها في الضَّياع، لا تملكُ سوى ثوبها
وسلَّةٍ صغيرةٍ حشرتُ فيها ما وجدتهُ، بعدَ انهيارِ المُخَيِّمِ على
أصحابِه.

على حافة شارع تايثبون، ليفربول

رجلٌ يلبسُ لباسَ جنديّ بريطانيٍّ ممزّق، البنطلونُ بالكاد
يستُرُّهُ، ومن تحت البنطلون المهلهل يبدو بنطلونًا آخرَ
بنفس اللون والقماش. تحت معطفه لبسَ كنزةً ضاعَ لونها.
أوسمةٌ موزعةٌ على معطفه. شَعْرُهُ كثيفٌ منفوش، وله ذقنٌ
طويل، يَحْمَلُ بيدهِ زجاجةَ بيرةٍ فارغة، يُقْرِئُها لَفَمِهِ، يضحكُ
بشكلٍ هستيريٍّ، مُتَكَلِّمًا مَعَ نَفْسِهِ:

"بروك، كم بقي لدينا مِنَ الخبز؟ هل يكفينا أسبوعًا على
الأقل؟"

يضحكُ ضحكاتٍ عاليةً: "نفدَ الخبز. هههههههههه. أُسْكُتُ.
قُمْ. تعال. اجلس. حاضر جنرال."

السّفينة غرقت. الطّائرة سقطت. يضحك بصوت
هستيريٍّ... أطلق النار...

ههههه... أنا بطل الأوسمة. "نفذ الخبز."

ينتبهُ لنظراتي إليه، فيتمدّدُ على الرّصيف ويغمضُ
عينيه، بينما كنتُ في شوقٍ لأعرف:

"مَن هو بروك؟"

حكاية

كان يا ما كان بنت وصبي أحبا الرمان كثيرا، وعلى حافة
طريق بعيد، وبينما هما يتراخضان لالتقاط حبة رمان،
تعثرت البنت بحجر صوانٍ أسود، فجرحت قدمها.

استمر الولد بالركض دون أن ينظر خلفه. التقط حبة
الرمان وأكلها، ولم يفتن للبنت التي أمسك بيدها قبل
قليل.

تتبعت البنت أثر القشور، فوجدت الولد، وقد تخمّر
رأسه من أكل الرمان، ولم يعرفها.

سحبت البنت قشور الرمان، وعلقتها في خيط، لكي
تتذكر تعثرها بالحجر الأسود.

نجاح

انتخبتُ جمعياً حقوق الإنسان السيد (م. خ)، ليكونَ رئيسها.

نسبةُ المنتخبين كانت 99%، كادَ أن يصلَ مستوى الإجماع، لولا امتناع السيدة (د) ذات الفم الكبير عن التصويت، والتي كانت بينَ فخذيه قبلَ أيام، لأنّها لم تقمُ بملاء الاستمارة.

كان من شروطِ الاستمارة أن تدفعَ له فقط مئةَ درهم، بدلاً من مائتين، مُقابلَ دسِّ وجهها بين (...)، لكنّه رفض؛ فخانتُهُ، وانسحبتُ من التصويت.

أمّا باقي المصوّتات، فقد كانت أفواههنَّ صغيرةً، واكتفينَ منه بمصِّ أعلى التمرة.

تِيَهُ

في لُجَّةِ اليَمِّ، تناقلتها الأمواجُ، مرَّةً تطرحُها على ظهرِ
قَرشٍ، فيأكلُ شيئاً منها، ومرَّةً تطرحُها على ثمرَةِ بحريَّة
تطعمُها، وفي كلِّ مرَّةٍ تنقصُ أو تزيدُ، حتَّى وجدتُ ضالَّتَها
التي صورتُها كشمسٍ في وسطِ المحيطِ.

سلَّطَ الضَّوءَ عليها، حتَّى كشفَ خلاياها الَّتِي عطَّها
الزَّمَنُ، فتركها تُلَاطِمُ الأمواجِ، وانسحبَ دونَ رَفَّةٍ جفِنِ.

سِياقة

هو كانَ تحتها، هي تعلوهُ.

صوتٌ يقولُ:

- "إمّا أنْ تسوقي جيّدًا، أو تنزلي".

لم تُتقنِ السِّياقة، وغابَ عنْ بالِه، أنّ ما تركبُهُ مُجرّد
جُتّة.

مُشَاغِبٌ

هو مشاغِبٌ رهيب.

رهيب...

تمدُّ تلكَ الكاتبةُ الحرفَ، لتصلَهُ عِبْرَ التعلّيق.

يتلذذُ بمُشاغباتها، بينما يَسمعُ شَهقاتِ امرأةٍ أخرى عِبْرَ
الماسنجر.

الحكايةُ نفسها تتكرّرُ كلَّ يوم، مثلَ حكاياتِ جمعِ الأثلاء
عن الطّرق، وتنظيفِ مُخلفاتِ حربٍ عابرة، وإعادةِ تعميرِ
بيروت، وإعادةِ تعميرِ جنين.

غداً سيُعادُ السيناريو، وستشهُقُ امرأةٌ أخرى معه،
وتُشاغِبُ أخريات، بينما التّدميرُ وإعادتهُ يسيران على وتيرة
الشّهقات.

الرّاقِد

1

رَقَدَ الرَّاقِدُ فِي رَحْمِهَا. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرَجَ مِنْهُ سِنِينَ
طَوِيلَةً؛ فَاتَّهَمُوهَا أَتَمَّا خَرَقَتِ الْمَعَاجِزَ، لَكِنَّهَا ضَحَكَتْ فِي
دَاخِلِهَا؛ فَقَدْ كَانَ الرَّاقِدُ يَغْتَنِمُ غَفْوَةَ الْجَمِيعِ، وَيُطَلُّ عَلَيْهَا
مِنْ نَافِذَتِهِ الصَّغِيرَةِ، ثُمَّ يَدْخُلُ رَحْمَهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ مَا
زَالَ هُنَاكَ، وَالْجَمِيعُ يَنْتَظِرُونَ وَوَلَادَتَهُ.

2

قَامُوا بِرَجْمِهَا، لِأَنَّ فِكْرَةَ (رَاقِدِهَا) قَدْ كُشِفَتْ، وَوَسَطَ
نِزَاعِهَا صَرَخَتْ صَرْخَةً شَقَّتِ السَّمَاءَ؛ فَقَدْ خَرَجَ الرَّاقِدُ
لِيُعْلِنَ بِرَاءَتِهَا، بَعْدَ أَنْ وَدَّعَتِ الدُّنْيَا بِشَهْقَةٍ أُخِيرَةٍ.

تبادلُ أدوارٍ

سقطَ السَّقْفُ، وتبادلَ الدَّوْرَ معَ البلاطِ.

ارتفعتْ أرضيَّةُ الغرفةِ فوقَ رأسي، وبتُّ تائهةً بينهما.

أحاولُ رَفْعَ رأسي، فأراهُ يرتطمُ، ولا أستطيعُ شَدَّ قَدَمَيَّ
للأرضِ.

عندها؛

أدركتُ أَنَّ المَكَانَ الَّذِي كُنْتُ أعرفُهُ، قد غادرَ الغرفةَ.

نعاسٌ

نامٌ مُنكفئًا على بطنِهِ. قامَ مِن فِرَاشِهِ إلى مقودِ الباصِ.

قَحَّ ثلاثًا... تشاءَبَ عشْرًا... وأدارَ المقودَ.

نشَّ النَّعاسَ بقوةٍ عن جفْنَيْهِ، وعندما مرَّتْ مِن أمامِهِ
أردافُ النَّساءِ، في الحافلةِ الَّتِي خرجتْ مُؤخَّراتُهُنَّ عن حدودِ
الكراسي، اقتحمتْ مُخيلَتَهُ، حتَّى مالَ الباصُ ميْلَتَهُ الأخيرة،
وانقلبَ النَّعاسُ إلى غيرِ رجعة.

سنجر

جَدِّي كَانَ يَفْتَحُ الصَّبَاحَ بِسَجَائِرَ مِنَ النَّوعِ الثَّقِيلِ (تبغ
عربيّ)، وبفنجانِ قهوةٍ مِنْ عيارِ إِف 16.

لَمْ يَحْظَ بِتَدْخِينِ صَوَارِيخِ السَّكَادِ.

مَاتَ فِي الْخَامِسَةِ وَالتَّسْعِينَ وَهُوَ فِي حَسْرَتِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ
يَصْرُخْ فِي وَجهِ "سِينْجَر" *، لِيَقُولَ لَهُ:

- كِفَاكَ يَا وَلَدِ، مَنِ اللَّفِّ وَالِدُورَانِ. انْتَهتِ اللَّعْبَةُ قَبْلَ أَنْ
تُؤَلَّدَ.

*سِينْجَر؛ كِينْجَر وَزِيرُ خَارِجِيَّةِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ فِي عَهْدِ
نِيكْسُونِ.

إشارة

حينما أرى إشارتك رماديةً على الماسنجر، تصطبكُ
أسناني من البرد، وأظفري تطولُ، لتمزَع الزّجاج.

وساوسي تأخذني إلى عالم الجنّ القديم.

أتمنى الفانوس السّحريّ لأحكّه، علّه يطلع لي بسيرٍ
انطفاءٍ الإشارة.

أيأسُ، فألجأ لصوتك داخلي...

حينها تُضيءُ الإشارة، عابرةً الرّماديّ والخطوات البعيدة.

كاتبٌ بارعٌ

مهنتُهُ أَنْ يَتَوَاصَلَ مَعَ الكَاتِبَاتِ، وَيَحْتُمِنَنَّ عَلَى الكَلَامِ
المَعْسُولِ، حَتَّى إِذَا بَرَزَتْ جُمْلَةٌ خَاصَّةٌ مِنْ إِحْدَاهِنَّ، تَلَقَّهَا
بِسُرْعَةٍ البَرَقِ.

وَقَبْلَ أَنْ تَصْحُوَ مِنْ نَوْمِهَا، نَشَرَهَا فِي اليَوْمِ التَّالِيِ، كَقِصَّةِ
قِصِيرَةٍ جَدًّا جَدًّا.

بُرُودٌ

ذاتَ عُمْرٍ، كنتُ مُولَعَةً بِمُمَثِّلِي السِّينِما. أَحَببتُ عمر
الشَّريف، ريتشارد غير، جورج كالوني، حتَّى الصَّغار منهم.

كنتُ أَكَلُ مَعَهُمُ وَأشْرِبُ، وكَلَّ يَوْمٍ أُغَيِّرُ أَبْطالِي الَّذِينَ
يُشاركوني نبضاتِ قلبي، ويملؤون لياليَّ.

اليومَ لو تَغَزَّلَ بي أَجملُ رجلٍ في العالم، لا تتحرَّكُ بي أَيَّةُ
عضلةٍ بي، ولا تقفُ أَيَّةُ شعرةٍ على يدي، وأكتفي بالسَّماع،
وحالما يَفْرُغُ، أُعَلِّقُهُ على مِشْنَقَةِ الكلام، وأمحوهُ مِن ذهني
تمامًا.

شاعرٌ

شاعرٌ تُورِّقُهُ طيورُ النّورس، والسّمكُ، وعشاءٌ فاخرٌ مع
امرأةٍ تكونُ جَنَّتَهُ المفقودةً، ويكونُ آدمها.

كلّما فتّشَ عن جنّةٍ، عن طريقِ الياهو، والفيسبوك،
والماسنجر، دعاها لوجبةٍ سَمَكٍ.

ولكن سرعانَ ما يسرقُ نُصوصها.

ترميه هي، واهمّا أنّها خائنةٌ، ويبدأُ بالبكاءِ لِقَلَّةِ حَظِّهِ.

يجدرُ القول، إنّ الشّاعرَ كانَ مُهمَّشًا ذا طفولةٍ بائسةٍ،
ولم يرضعْ ما يكفي من ثدي أمِّهِ.

جَنَّةُ وَادِمُ

كُلُّ مَا أَذْكَرُهُ...

أَنَّ آدَمَ لَمْ يَحْلَمْ فِي كُلِّ حَيَاتِهِ سِوَى بِالْإِنْتِصَابِ الدَّائِمِ،
وَبِشْرَبِ الْجَعَةِ بِنَكْمَةِ الْجَعَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ.

تلك النكمة؛ كنكمة ذلك الشاعر الذي يملأ دروبه
بالجعة الألمانية، وبالنوارس التي ملّت وجودها في قصصه
وأشعاره، حتى تمرّدت...

وهاجرت كليّة من بلاده، حتى يتوب عن ذكر اسمها.

سيمفونيّة الخيول الأصيلة

الخيولُ الأصيلةُ كثيرةٌ في بلادنا...

قد لا تعلمون أنّ أصلها عربيٌّ فُحّ، خاصّةً، عندما تجري
المسابقةُ على الانتخابات.

تُرى، من سيكونُ الحصانُ الأشدُّ أصالةً، والذي سيركبهُ
الأمريكان هذه السنّة؟

مساواة

زَوْجٌ وَزَوْجَتُهُ فِي حِزْبٍ وَاحِدٍ.

يَقْعُدُ الزَّوْجُ عَنِ النَّشَاطِ، فَتَقْعُدُ الزَّوْجَةُ.

يَسُوقُ الزَّوْجُ الْمَعْرَكَةَ، فَتَسُوقُ الزَّوْجَةُ.

قَبْلَ سَنَةٍ، غَضِبَ الزَّوْجُ مِنَ الْحِزْبِ فَاسْتَقَالَ.

كَذَلِكَ فَعَلَتِ الزَّوْجَةُ.

هَذِهِ السَّنَةُ تَرَشَّحَ الزَّوْجُ لِمَنْصِبِ قِيَادِيٍّ، فَتَرَشَّحَتِ

الزَّوْجَةُ.

قَدْ يَنْسَحِبُ الزَّوْجُ غَدًا مِنَ الْحِزْبِ، وَهِيَ سَتَفْعَلُ ذَلِكَ

بِالتَّأَكِيدِ.

مُشَاغِبَاتٌ

- قطتي الجميلةُ حبيبتِي.

بَعْدَ أَنْ يُشْبِعَنِي مُوَاءٌ تَحْتَ بِيوتِ الدَّرَجِ الخَلْفِيَّةِ، يَكْتُبُنِي
نَصًّا، لِيَضُمَّنِي لِنُصُوصِهِ؛ عَن قِطَطِهِ الكَثِيرَةِ الَّتِي دَهَسَتْهَا
السَّيَّارَاتُ العَابِرَةُ.

2

مِشَاغِبٌ رَهِيْبٌ، يَبْتَعِدُ عَنِ النَّهْرِيَيْنِ، بِمَهَارَةِ القِطَطِ
اللَّيْلِ.

فِي شِبَاطٍ يَشْتَدُّ شَبْقُهُ، فَيَفْتَحُ أَبْوَابَهُ أَمَامَ القِطَطِ التَّائِهَةِ
فِي اللَّيْلِ.

وَمَعَ نِهَآيَةِ شِبَاطٍ، يَكُونُ قَدْ تَجَرَّدَ مِنْ ذَيْلِهِ، وَبَدَأَ أَجْرِبَ
حَاسِرًا مِنْ شَعْرِهِ، مُنْقِرًا، بِحَيْثُ تَتَجَنَّبُهُ حَتَّى عَجَائِزِ
القِطَطِ الَّتِي عَلَى وَشَكِّ المَوْتِ.

رَجُلٌ مِنْ زُجَاجٍ

إِذَا اقْتَرَبْتِ مَنِّي، إِيَّاكَ مِنْ نَفْحِ أَنْفَاسِكَ بَوَجْهِ، فَقَدْ
يَعْنَى بَصْرِي.

وَإِذَا تَكَلَّمْتِ اقْتَرَبِي مِنْ أُذُنِي، وَاهْمِسِي دُونَ أَنْ تَمَسِّي
هُدوءَ رُوحِي؛ فَلَنْ أَحْتَمَلَ مِنْكَ سِوَى أَمْرَيْنِ؛ إِمَّا
"وَحُوحَاتِكَ، أَوْ مُحَمَّحَاتِكَ".

أَمَّا الْبَاقِي فَاحْتَفِظِي بِهِ لِغَيْرِي.

فَوَثِّبْتِ كَأَفْعَى شَرَسِيَّةٍ، وَفَحَّحْتِ أَنْفَاسَهَا فِي وَجْهِهِ.

بائعَةُ الصِّدْفِ

عيناها تلمعان كبلّورتين... يداها البُتَيْتانِ تحملانِ عناقيدَ
الصِّدْفِ البَحْرِيِّ، شامخةً تُناورُ الشَّارينِ.

نَمْرَةً... لا تقبلُ التنازلَ عن ثمنِ عَرَقِ يديها.

تحتلُّ أَرْصفةً معزولةً في الطَّرِيقِ، غيرَ هَيَّابَةٍ مِنْ وجودِ
الدُّنَّابِ.

طفلةٌ لَمْ تَبْلُغِ العاشرةَ بعد.

قُبْلَةٌ

أحاولُ التَّمَلُّصَ منه، وأفتحُ مَقَالًا جافًا، لِيَجفَّ رِيقِي.
أقرأُ عن الإخوةِ المناضلين المتقاتلين في غزّة، أُغَيِّرُ المقالَ.
ليسَ جافًا بما يكفي.

شيءٌ عاديّ...

أقرأُ عن المَجازِرِ في العراق. طبخةٌ يَوْمِيَّةٌ كطبخةِ مَنْ
ليسَ لَهُ ما يفعل. أفتحُ ألبومَ صوري عَلَيَّ أَجدُ هناكَ مَرْتَعًا،
يَجفُّ رِيقِي قليلًا، عندما أرى أَنَّ تلكَ المرأةَ في الصّورِ لا
تُشبهني.

تلكَ كانتَ شجاعةً، ولها قلبُ طفلٍ. أغارُ منها. تَسِيلُ
دمعةٌ واحدة. أستدلُّ على وِرقِ الأبيضِ الَّذِي يُماجِئُني
بِتَبَلُّدِهِ.

يُصَيِّبُني قَهْرٌ، ثمَّ يَسِيلُ اللَّونُ الأزرقُ، لأنفثَ قهري بقبلةِ
سائِلةٍ في فَمِ الغائبِ.

اقتحام

اقتحمتُ درجةَ الحرارةِ الغرفةَ.

خلعُ الثَّوبُ نفسهُ منها، ورمى نفسهُ على الكنبه.

الكنبهُ تنتفضُ. صراخٌ غيرُ عاديٍّ عبرَ الشَّبَّاكِ... أغلقتُهُ.

زادتُ درجةُ الحرارةِ، فارتبكَ الحرير.

القلمُ يَرنو بِفمِهِ، لِيُقَبِّلَ الورقةَ البيضاء.

تَفِرُّ الورقةُ هاربةً، فينحني القلمُ بِذُلِّ ظاهِرٍ.

تحصين

دخلَ عليها مطعونًا، والسيكينُ ما زالَ مغروسًا في ظهره.
سحبتِ السيكينَ من ظهره. عالجتهُ، وبعدَ أن استفاقَ من
ألمه، غرزتِ السيكينَ في صدره.

تعمّدتُ أن يكونَ مؤلماً، لكن ليسَ قاتلاً.
نظرَ إليها باستغراب، وهو لا يكادُ يقوى على التكلّمِ وقال:

- لماذا فعلتِ هذا بي؟

فقالَتْ له:

أما الغدرُ فهذا يمكنُ التغلّبُ عليه، ولهذا فإني أُطعمُك،
أحصنُك وأقويك، وأما الجبنُ...

قاطعها:

- فهمت.

لغة

في باريس، شددت يداً باردةً لتمسكَ يدي، فوجدتها
مُجرّدَ كتلةٍ لحميّة.

عندها حاصرتني ذكرى يدين مسكتا بي، في شارعٍ قادني
إلى هديرٍ بحرٍ في البيضاء، فانسربَ دفءٌ إلى قلبي.

حريق

شَبَّ حَرِيقٌ فِي بَيْتٍ فِي أُمَّ الْفَحْمِ، وَوَصَلَتْ سَيَّارَةُ
الإطفائية.

لكن قبل وصول السيارة، كانت عشرات السيارات من
مُجَبِّي الاستطلاع، تقفُ صفًّا واحدًا، ينتظرُ أصحابها وصولَ
الإطفائية.

بعدَ جُهدٍ جهيدٍ وصلتْ سَيَّارَةُ الإطفائية، وسائقها يَصْرُخُ
في النَّاسِ، لكي يُبْعِدُوا سَيَّاراتِهِمُ الواقفةَ في الطَّرِيقِ، والتي
أصبحتْ مَشْهَدًا فحماريًا يوميًّا، وحتى تمَّ إخلاءُ السَّيَّاراتِ
مِنَ الطَّرِيقِ، كانَ البيتُ قدِ احترق، ووصلَ الحريقُ
السَّيَّاراتِ، فبدأ رجلُ الإطفائيةِ يُشغِلُ النَّبَارِجَ المائيَّةَ،
لِيُطْفِئَ سَيَّارَتَهُ، و"يَنْفُذَ بجلده".

تَفَرُّدٌ

يَنْفَصِلُ عَنْهُ...

ال "أنا" يُشَاهِدُ التَّلْفَازَ...

ال "هو" يَنْتَصِبُ...

امرأة تُقْعِي عَلَى ال "هو"...

تُدَاعِبُهُ...

بينما صاحبُ "ال هو" يَتَلَدَّدُ، بِمُشَاهِدَةِ قَتْلِ مَذْبَحَةٍ
جَدِيدَةٍ فِي الْعِرَاقِ.

مَشْهَدٌ

رجلٌ نائمٌ على سرير، تُحيطُهُ الأنايب الطَّبِيَّةُ مِنْ كُلِّ
الجهات، بعضها مغرورٌ في يديه، والبعضُ الآخرُ مربوطٌ
بجهازِ التَّنْفَسِ.

أمامه جمهورٌ، وفمُّه مفتوحٌ يَقُولُ كلماتٍ لا يَسْمَعُهَا أَحَدٌ.
تمرُّ مَشَاهِدُ أمامَ عيني الرَّجُلِ، وهو يُحاربُ في الجيش، ثمَّ
وهو على منصَّةِ الرِّئاسَةِ يَخْطُبُ، ويرى بذلتَهُ الجميلةَ
المُرصَّعةَ بالجواهر.

ترمِسُ عيناهُ... يُحاولُ خَلْعَ جهازِ التَّنْفُسِ لِيبتسمَ؛
فتُعيقُهُ يداهُ المُكبَّلتانِ بالأنايبِ.

ما زالَ يلبسُ تلكَ البدلةَ في مُخيلَتِهِ... يتذكَّرُ نفسَهُ وهو
يقودُ الجيوشَ إلى حربِ الإخوةِ، فيُزيلُ بقوةِ جهازِ التَّنْفُسِ،
ويصمتُ صمتًا أبدِيًّا.

انهيارٌ

في سانت دنيس ضُمَّتُهُمَا غَرَفَةٌ.

كَانَتْ حَيْطَانُ الْغَرَفَةِ هَشَّةً، لَمْ تَحْتَمِلْ صُورَاحَ لِبُؤَةِ قَادِمَةٍ
مِنَ الشَّرْقِ، فَانْهَارَتْ الْغَرَفَةُ.

سِيَاحَةٌ

"أَوْدُ لَوْ أَعْرَفُ الشَّهَدَ مِنْ عَيْنَيْكَ، أُمْسِدُ رَاحَتَيْكَ،
وَأَغْوِسُ فِي بَاطِنِ قَدَمَيْكَ".

كَانَ الْغَزْلُ غَرِيبًا عَلَيْهِ، فَاتَّهَمَهَا بِالْجُنُونِ، وَقَذَفَهَا مِنْ
الشَّيْبَانِ.

تَدْمُرُ

تَدْمُرُ مِنْ وَقُوفِهِ الْكَثِيرِ عَلَى الْمَنْصَبَاتِ.

تَشَقَّقْتُ كَقَمَاتِ قَدَمَيْهِ. أَحْضَرْتُ لَهُ كَرِيمًا خَاصًّا مِنْ
مَنْتُوجِ إِسْرَائِيلِيٍّ. مَسَحْتُ بِهِ رَجْلَيْهِ، حَتَّى انْتَابَتْهُمَا طَرَاوَةٌ،
خَالِعًا مِنْهُمَا الْإِنْتِصَابَ السِّيَاسِيَّ.

وَعِنْدَمَا أَلَحَّ الْجُوعُ عَلَيْهَا ذَاتَ جَوْلَةٍ بَارِيسِيَّةٍ، قَالَتْ لَهُ:

- تَعَالَ لِنَدْخُلَ إِلَى الْمَاكْدُولَنْدِ.

قَالَ بِأَنَّهُ مُقَاطِعُ الْبِضَائِعِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَنَسِيَ أَنَّ الْكَرِيمَ
الَّذِي مَسَدَ بِهِ طَرَاوَةَ قَسْوَتِهِ، هُوَ مِنْ أَوْلَادِ الْمَاكْدُولَنْدِ.

انتصاب

عندما انتصب ذات حالة، كان يطمئن على أحوال العامة في بلاده.

هو مشغول في مشاهدة التلفزيون.

هي تعدل انتصابه... تركته منتصبًا وخرجت.

وهو ناضل بكل شموخ، من أجل ارتخاء حال العامة.

هُرُوبٌ

على أبواب معركة الانتخابات قال لها:

- أنا مُلْكٌ غَيْرِي. تعالي لتهرب من الانتخابات.

هربا...

وعندما هدأت الأحوال، ألقى خطبته الشهيرة عن عيوب
جزيره، واستقال.

بعد أن عاد من استراحة المحارب إلى صفوف المعركة،
عاد لزاويته الرتيبة، في ركن صحيفة تُنادي بالحرية، وهو
لم يستطع ممارسة حريته ذاته في استمرار استقالته.

مُومِسُ

أريدُ عن كلِّ "مصّة" خمسةَ دولارات.

كانتُ كريمةً، فمَنَحْتُهُ مقابلَ كلِّ مَصِّةٍ مئةَ دولار.

باسمِ الإخلاصِ لزوجتيهِ وباسمِ الكرامةِ خَلَعَهَا، ونسيَ أَنَّهُ

اشتغلَ لها مُومِسًا مَدفوعَ الأجر.

شخِيرٌ

فجأةً، أصبحَ شخِيرُها مُزَعِجًا، وطريقه أكلها وحمَامِها
أيضًا، ولمْ يَعُدْ يَنْظُرُ لعينِها العميقتين، إذ لم تكنْ على
قَدْرِ التَّوَقُّعِ.

لقد كانَ الوعدُ أنْ تَشْتري له أرضًا، وإذا بها فقط تدفعُ
له، مُقابلَ انتصابِه أمامِها، دونَ حتَّى أن يلمَسَها.

سياسي

في حريقٍ نَشَبَ في كازابلانكا، كنتُ أُشاهدُ التلفزة
المغربيّة.

رأيتُ شخصًا، تمامًا كما كلَّ الأشخاص الذين بعدَ كلِّ
مأساةٍ، يلبسونَ ربطاتِ العنق، ليحتفلوا في موكبِ الوداعِ
الأخيرِ للأمة.

ثمَّ يذهبونَ لأقربِ مقهى، ليُلخِّصوا أوجاعَ الأمة.
وينتهي التلخيصُ، بشُربِ كاسٍ في صحّةِ الإخلاصِ للوطن.

اجتماع هام

أربع شخصياتٍ ببدلاتهم الرّسميّة، يجلسونَ على المنصّة؛ الأمينُ العامُّ للحزب، وثلاثةٌ من أعضاء الدّيوانِ السّياسيّ.

بدأ الاجتماعُ، قالَ رئيسُ الحزب:

- اجتمعْتُ بـ طالتُ لحيتهُ وابتَضَّتْ... أَكَلْ... شربَ...
أشار... وقدّمَ النّصائحَ.

وما أنِ اقتربَ من إشراكِ المجتمعينَ بمواعيدِ ذهابِهِ
للحمام، حتّى صَقَّ الجمهورُ تصفيقًا حارًّا، فرأى بذلك
التّصفيقِ نهايةَ الاجتماعِ.

تُرى...

ماذا قالَ الثلاثةُ الآخرون؟

ليلة زفاف

هذه المرأة فرحت ككَلِّ البنات؛ ببدلة زفافٍ، وزغاريدٍ،
وقلم أحمر شفاه، وكذلك بهديّةٍ في اليوم التّالي، إثرَ
افتضاضِ بكارتها.

دخلتُ غرفةَ زوجها، وتحمّستُ لتلك الرّجفة. لكنّ
العريسَ بقي راكبًا على ظهرها، مُتخيّلًا أنّه يركبُ فرسًا.
بعد أن أنهكها التعبُ، وهي تقولُ له بلهجةٍ عاديّةٍ:
- يا رجل، الأيّامُ كثيرةٌ أمامنا.

وهو لم يَعْ ما معنى العبارة. بطّحها أرضًا، واستمرَّ في
فِعْله...

في اليوم التّالي، خرّجَ للنّاسِ مُبَشِّرًا إيّاهم، أنّ زوجته قد
حملتُ.

انتشرتْ قصّتهُ في البلد، كانتشارِ النّارِ في الهشيم، ووَجَدَ
النّاسُ تسليّةً جديدةً لهم.

وكانتْ هي آخرَ مَنْ يَعْلَمُ؛ أنّها تزوّجتْ مُجرّدَ ذَكَرٍ.

سِرٌّ

كَانَتْ الطَّرِيقُ طَوِيلَةً لِأَحْتِضِنَ السِّرِّ.
هَنَّاكَ دَاسَتْ قَدَمَايَ ذَاتَ صَيْفٍ، وَعَبَّرَتْ كُلَّ أَقْوَاسِ
النَّصْرِ الَّتِي تَلَاخَقَتْ قَوْسًا وَرَاءَ آخِرِ.
وَعِنْدَ الْبَابِ الْآخِرِ، كَانَ كُلُّ أَثَرٍ لِقَدَمَيَّ قَدْ مُسِحَ عَنِ
الْبَلَاطِ الْأَزْرَقِ.
تُهُتُّ، وَبَقِيَتْ مَرْكُونَةً وَرَاءَ الْبَابِ الْآخِرِ، وَلَمْ يُتَخَ لِي بَوْحُ
السِّرِّ.

سوف

يبدأ مُغازلتها بحرفِ السّين. سوف، وسوف، وسوف...
بعدَ التّسويّفاتِ تُدرِكُ؛ أنّها خَلَعَتْهُ منذُ السوفِ الأولى.
لكتّها أرادتْ أنْ تَسْمَعَ التّسويّفاتِ الأخيرة، حُبًّا منها في
جَمْعِ الطّوايعِ البريديّة.

مَلامح

في مقبرة حيِّ المحاميد¹، سَكَنَ قَبْرًا، شَكَلُهُ كَنَصْفِ قَوْسٍ
مَدَهون بالأبيض. لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَنْ هُوَ صَاحِبُ الْقَبْرِ.

قِيلَ إِنَّهُ قَبْرُ وُلِيِّ.

في القبرِ طَاقَةٌ مَفْتُوحَةٌ، اعْتَادَ النَّاسُ وَضَعَ النِّقُودَ فِيهَا
تَيَمُّنًا، أَوْ وِفَاءً لِلتَّنْذُورِ.

كَانَ ذَلِكَ مِنْ سِنَوَاتٍ لَيْسَتْ بِالْبَعِيدَةِ.

مَلَأَ النَّاسُ الطَّاقَةَ نَهَارًا بِالنِّقُودِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْمَيِّتَ يَقُومُ
لَيْلًا، لِيَأْخُذَ نِقُودَهُ.

لَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَنَّ هُنَاكَ شِلَّةَ أَطْفَالٍ مَشَاغِبِينَ، كَانُوا أَشَدَّ
حِكْمَةً مِنَ الْكِبَارِ. تَسَلَّلُوا لَيْلًا، وَأَخَذُوا النِّقُودَ، وَدَلَّلُوا
أَنْفُسَهُمْ بِهَا.

وَمَا زَالَ النَّاسُ فِي غَفْلَتِهِمْ حَتَّى الْيَوْمِ.

¹ حيِّ المحاميد؛ المقصود بها حيِّ من أحياء أم الفحم.

دروشة

رُوي؛ أَنَّهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ، يَخْرُجُ الْجِنُّ فِي مَدْرَسَةِ
الزَّهْرَاءِ¹، فَتُضِيءُ الْمَدْرَسَةَ، وَيُسْمَعُ قَرْعُ الطَّبَّوْلِ.

كَانَ الْجِيرَانُ يَقْضُونَ لَيْلَتَهُمْ مَرْعُوبِينَ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ،
حَتَّى تَنْتَهِيَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ، وَيَخْرُجُونَ سَالِمِينَ.

لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ، أَنَّ ثُلَّةً مِنَ الزَّعْرَانِ حَمَلُوا الشَّمُوعَ
وَأَضَاءُوا الْغُرْفَ، وَكَانُوا يُغْرَقُونَ أَنْفُسَهُمْ بِشُرْبِ الْخَمْرِ
وَالتَّطْبِيلِ.

¹ مدرسة الزَّهْرَاءِ: مدرسة البنات في حارة الحماميد، وهي أقدم مدرسة في أمّ
الفحم.

شَارِبٌ

عندما قَبَلَتْهُ، قالتْ لَهُ بَعُجْ:

- يَخْدُسُنِي الشَّارِب.

أَقْسَمَ بِمَوَاتِيقِ الْأَرْضِ أَنْ يَحْلِقَهُ.

فِي الْأَسْبُوعِ التَّالِيِ أَطْلَقَ ذَقْنَهُ أَيضًا.

ضَاعَ الْقَسَمُ، وَطَالَتْ قَامَتُهُ.

أُكْتُبِي

قلتُ لها:

- أكتُبيني..

قالتُ لي:

- حتَّى أشمَّكَ.

غضبتُ، ثمَّ تداركتُ أمرًا.

ذهبتُ لأرى نصوحي.

هل يمكنُ أن أكونَ قد كتبتُ بأنفي من قبل؟

وجدتُ استراحاتِ العطرِ بينَ الّهود، وروائحَ العسلِ

تنتشرُ على جسدِ القصيدة.

تقزيم

عندما ولجيتني لأول مرة، كنتُ فارغَ القامة، يداي
طويلتان، ولوني أحمرُ فاقعٌ.

لم يَمُرَّ على وجودي أسبوعٌ، حتَّى بُهتَ لوني، ومُسختُ
قزماً مُلقى على علاقةِ الملابس.

حوار

- هل تعرفين من هو "شارلوك هولمز"؟

- طبعاً؛ هو أكبرُ مُحَقِّقٍ في جرائمِ السَّرقاتِ، حيثُ اكتشفَ أنَّ باولو كويهلو، وكونديرا، وفولكنر، وغارسيا قد سرقوا نصوصه.

"إنَّه فعلاً، يستحقُّ وسامَ شرف."

كانَ على وشكِ الفوزِ بجائزةِ نوبلِ في الاكتشافاتِ العِلْمِيَّةِ، لولا زلَّةٌ بسيطةٌ.

"ما هي"؟

اتَّهَمَ "ليوناردو دي فينتشي" أنَّه سَرَقَ أشعارَهُ.

مسكينٌ، التَّبَسَّ عليه الأمر.

نُبَاحٌ

عندمَا يَنبُحُ كَلْبُ جَارِنَا، أَعْرَفُ أَنَّهُ أَنْ مَوْعِدُ عُبُورِ
مُتَلَصِّصٍ عَلَى بَيْتِ جَارَتِنَا.

يُفْتَحُ الْبَابُ، ثُمَّ يَنْغَلِقُ عَلَى ضِحْكَاتٍ، تَفْتَرَعُ جِدَارَ الصَّمْتِ
فِي أَوَاخِرِ اللَّيْلِ.

على حافة الصّباح

على حافة الصّباح، يلتقطُ عقبَ سيجارةٍ من الرّصيف.
يتّجهُ إلى طاولاتِ المقهى الخارجيّة، يسكبُ ما تبقى من
مشروبٍ لآخرين، يَضَعُها في كأسٍ واحدة، ويتّخذُ مكانه
كمَلِك، ليشربَ قهوته الصّباحيّة.

عُلبَةٌ

مَنْحَتُهُ عِلْبَةً سَوْدَاءَ، وَدَفْتَرًا بِحَجْمِ الْكِفِّ، وَكَامِيرًا.
مَنْحَنِي سَاعَةً خَرِبَةً، وَكَثِيرًا مِّنَ الْكَلَامِ.
كَسَرْتُ الْعِلْبَةَ السَّوْدَاءَ، وَتَبَخَّرَ الْكَلَامُ فِي الْأَثِيرِ.
وَبَقِيَتِ الْكَامِيرَا تَلْتَقِطُ صُورَ عَشِيقَاتِهِ، وَاحِدَةً تَلَوَ الْأُخْرَى.

باسوورد

"غَيَّرِي الباسوورد، وَأَنْتِ مُغَمَّضَةٌ العَيْنَيْنِ."

نَصَحَهَا.

أَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا فِعْلاً، وَوَضَعَتْ الباسوورد.

ثُمَّ نَسِيَتْهُ.

مَعَ نَسْيَانِ الباسوورد، كَانَتْ قَدْ نَسِيَتْ كُلَّ الحُرُوفِ الَّتِي

مَرَّتْ مِنْ هُنَاكَ، بِمَا فِيهِ اسْمُ صَاحِبِ التَّصِيحَةِ.

صورة

مُصِرٌّ عَلَى رُكُوبِ الْكُرْسِيِّ الزَّرْقَاءِ.

سَاهِمٌ فِي ذَاتِهِ الَّتِي غَادَرَتْ قَبْلَ قَلِيلٍ، دُونَ أَدْنَى وَدَاعٍ
لِقَمِيصِهِ الْأَسْوَدِ.

يَدُهُ عَلَى خَدِّهِ تَمَامًا، مِثْلَمَا هِيَ يَدُهَا الَّتِي تَرَضُّدُ الْغَيْبِ.
مَقْطُوعُ الْوَسْطِ، تَمَامًا مِثْلَ كُلِّ الشَّعْرَاءِ.

هُدْنَةٌ

الحاسوبُ مُطْفَأٌ...

قُبَعْتَانِ أَخَذَتَا هُدْنَةً بَعْدَ خِصَامٍ، إِثْرَ اخْتِلَافِيهِمَا عَلَى لَوْحِيهِمَا.

الْأَيْدِي أَخْفَتُ قَلَمَيْنِ، اتَّقَاءً مِنْ بَوْحِيهِمَا وَمِنْ تَعْطِيلِ الْمَشْهَدِ.

زُوجَانِ مِنَ الْعَيُونِ اِكْتَفَيَا بِالتَّحْدِيقِ لِلْكَامِيرَا، كَاسْتِرَاحَةٍ الْمُحَارِبِ.

قَتْلُ

1

السَّاعَةُ بَقِيَتْ مُتَوَقِّفَةً حَتَّى الْوَاحِدَةِ لَيْلاً.

قَبْلَ أَنْ يَخْلَعَ الْمَعْطَفُ الْبَيْتَ صَاحِبَهُ، وَيَقْدِفُهُ خَارِجَ الْمَكَانِ، لَوْحِظَ أَنَّ الْحَادِثَةَ تَسَبَّبَتْ فِي تَجَاعِيدِ الزَّمَنِ عَلَى الْكِنْبَةِ.

مَا تَبَقَّى مِنَ الرَّجْلِ، هُوَ لَوْنُهُ الَّذِي سَرَقَتْهُ الْكِنْبَةُ.

قتل

2

حَاوَلَ التَّخْلُصَ مِنْهَا، بَعَزَزَ قَلَمِهِ فِي قَلْبِهَا، فَضَحَكَتْ، وَلَمْ تَأْبَهُ.

حَمَلَهَا لِيَقْدِفَ بِهَا مِنْ شَبَاكِ الطَّابِقِ الْخَامِسِ، وَنَسِيَ مُرَوْنَةَ جَسَدِهَا. مَدَّتْ جَسَدَهَا، وَبَقْفَزَةً وَاحِدَةً عَادَتْ إِلَيْهِ. قَدَفَتْ مِحْبَرَتَهَا فِي وَجْهِهِ، فَقَتَلَتْهُ.

أَثَرٌ

كُلُّ مَا بَقِيَ مِنْهَا كَامِيرًا، يَضُمُّهَا إِلَى صَدْرِهِ، وَإِذَا اقْتَرَبَ
صَدِيقٌ مَا، يُرِيدُ النَّظَرَ لِلْكَامِيرَا، أَحْسَسَ وَكَأَنَّهُ سَيَفْقِدُهَا مَرَّةً
أُخْرَى.

كُلُّ مَا بَقِيَ مِنْهُ يَدَاهُ اللَّتَانِ طَبَعَتْهُمَا عَلَى يَدَيْهَا، وَكُلَّمَا
اقْتَرَبَ أَحَدٌ مِنْ يَدَيْهَا، خَافَتْ مِنْ مَسْحِ رَنَاتِ الْكِمَانِ الَّتِي
عَزَفَهَا عَلَى يَدَيْهَا.

خَوْفٌ

شَعَرْتُ أَنَّهُ سَيَقْتَرِبُ مِنْ حُدُودِ عُثَيْبِهَا الَّذِي سَيَجِّتُهُ
بِأَسْلَاكِ حَادَّةٍ، فَبَعَثْتُ لَهُ بِرِسَالَةٍ تُشْبِهُ الْأَسْلَاكَ.

بكى لوحده ليلاً، ولم يعد يثق بالفرح.

تَوَهَّمَ بِأَنَّهَا بَاتَتْ لَيْلَتَهَا بِسُرُورٍ، بَيْنَمَا وَضَعَتْ قُبُعَتَهُ
الْخَفِيَّةَ عَلَى رَأْسِهَا، وَتَلَصَّصَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُرْمِ الْبَابِ،
لَتَنْدَسَ إِلَى جَانِبِهِ لَيْلاً، وَلَتَنْعَمَ بِعَيْنَيْهِ الْمَغْمَضَتَيْنِ.

صَدْمَةٌ

دَعْتُهُ، لِيَرَى صَوْرَتَهَا الْحَقِيقِيَّةَ.

لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهَا، بِسَبَبِ عِزَّةِ النَّفْسِ الْبَدْوِيَّةِ.

اسْتَغَلَ نَوْمَهَا، وَتَسَلَّلَ مِنْ تَحْتِهَا، لِيَرَى الصَّوْرَةَ.

ف ... رَأَى وَجْهَهُ.

همسات

يَمْضِي الشَّجَرُ وَرَاءَ الْجُثَّةِ، وَالْجُثَّةُ تَلْحَقُ بِأَخْتِهَا،
وَتَهَامِسُ الْجُثَّةُ؛ حَوْلَ تَأْبِينِهَا، حَوْلَ الْعِطْرِ الَّذِي سَتَرْتُهُ
الْأُمَّهَاتُ، وَحَوْلَ الزَّنَابِقِ الَّتِي سَتَنْبِتُ إِثْرَهُمَا.
تَنْدَثِرُ السَّاحَاتُ، فَتُطْمَرُ الْأَشْيَاءُ، ثُمَّ يَسْكُتُ التَّهَامِسُ بَيْنَ
الْجُثَّةِ.

حُصَى

1

يُصَابُ بِحُصَى، وَيَلْجَأُ إِلَى الرَّسَائِلِ. أَخْجَلُ أَنْ أَقُولَ لَهُ، إِنِّي لَا
أَمْلِكُ وَقْتًا لِلزَّدِّ. أَسْتَعْمَلُ نَفْسَ النَّهْجِ، وَأَنْعَفُهُ بِالرَّسَائِلِ، ثُمَّ
أُدْمِنُ رِسَائِلَهُ. بَعْدَ الْإِدْمَانِ يَكْتُبُ لِي: - تَسْتَنْزِفُنِي الرَّسَائِلُ.
تَزُولُ الْحُصَى، فَيَغِيبُ.

حُصَى

2

هِيَ حُصَى. عِنْدَمَا يَهْجُمُ حُبٌّ مَا عَلَيْكَ بَعْدَ فَقْدِهِ، تَصِلُ دَرَجَةُ
حَرَارَتِكَ الْأَرْبَعِينَ أَوْ يَزِيدُ. تَوَدُّ أَنْ تَبْرُدَ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ. تَلْبَسُكَ
الْحُصَى. تَهْدُرُ بِكَلِمَاتٍ لَمْ تَتَعَوَّدْهَا.
عِنْدَمَا تَخْفُ قَلِيلًا، تَتَفَقَّدُ مَا أَضَعْتَهُ. وَتَعُودُ الْحُصَى مَرَّةً
ثَانِيَةً. لَكِنْ؛ مَا تَلْبَثُ أَنْ تَتَعَاْفَى لَتَعُودَ إِلَى قَدِيمِ عَافِيَتِكَ، وَأَنْتَ
نَادِمٌ عَلَى مَا زَارَكَ فِي الْحُصَى، فَتَأْتِيكَ نَصِيحَةٌ تَقُولُ:
- خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَبْقَى وَحَدَّكَ، عِنْدَمَا تَنْتَابُكَ الْحُصَى. لَا حَاجَةَ
لِأَنْ تُزِيلَهَا بِالْمَاءِ الْمُتَلَجِّ. فَلْتُزَلِّ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهَا، حَتَّى لَوْ قَتَلَتْكَ
التَّعَرُّقُ.

رَجُلُ النَّصِّ

مَنْ كَانَ صَمْتُهُ أَغْنِيَهُ، وَعَيْنَاهُ سَرِيرَ رُطْبٍ

هُوَ الَّذِي حَمَلَتْهُ عُمُرًا فِي حَقِيْبَةٍ مُغْلَقَةٍ

تُهُتُّ فِي الطَّرِيقِ

صَادَفَتْهُ فَجَاءَةٌ

كَانَ هُوَ. لَمْ يَتَغَيَّرْ.

نَفْسُ الْفَمِ وَنَفْسُ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّفَتَيْنِ.

لِكَنَّهُ...

لَمْ يَسْتَطِعْ قِرَاءَةَ مَا كُتِبَ عَلَى جِلْدِ الْحَقِيْبَةِ.

امراة النصّ

بدايةً، رغبَ أن يَشُمَّ رائحةَ الميتةِ بي.

صدَدْتُه.

بعدَ مُرورِ أشهرٍ قرائتهُ جيِّداً، فوجدتُ رائحتي بهِ،

ودَعَوْتُهُ.

عندما وَجَدَ أن ليسَ ثَمَّةَ ما يَكْتُبُهُ عن رائحتي، أو ثَمَّةَ ما

يُنْعِمُهُ على كرزي... غابَ، ولم يَكْتُبْني نصًّا، فارتحتُ.

تأبين

كانت في الرابعة عشر فقط.

كُلُّهُمْ أَحَبُّوْهَا؛ أَحَبُّوا كَرَكْرَةَ ضِحْكِهَا، نَهْدَيْهَا الصَّغِيرِينَ،
ضَوْءَ عَيْنِهَا عَبْرَ الزَّجَاجِ. احْتَلَمُوا عَلَى صَوْتِهَا. خَانُوا
زَوْجَاتِهِمْ لِأَجْلِهَا.

زَيْنُوا لَهَا بَيْتًا فِي الْأَعَالِي؛ جَنَّةَ صَبَّارٍ وَيَاسَمِينَ. قَالُوا لَهَا:

- نُحِبُّ فَرْجَكَ الَّذِي لَا يَتَبَوَّلُ، فَهُوَ أَفْضَلُ لِلطَّهَّارَةِ. نُحِبُّ
رِجْلَيْكَ الْعَاجِزَتَيْنِ، حَيْثُ لَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ شَهْوَةُ الرِّكْضِ وَرَاءَ
الدَّنَابِ. وَجْهَكَ الْأَصْفَرَ نَعَشَقُهُ. حَتَّى يَدَيْكَ الْمُوشُومَتَيْنِ
بِالْإِبْرِ نُقَبِّلُهُمَا.

نُحِبُّكَ أَيُّهَا الْمَيْتَةُ.

موت

في جنازتها لم يكن سوى اثنا عشر نفرًا، من بين آلاف
بلعوا أرياقهم، وهي تزف لهم الكلام.

وردة واحدة زينت قبرها، من امرأة لا تشبهها، لكتها مرت
على هذب تلك الطفلة التي لم تبلغ سوى الرابعة.

مَنَامٌ

المنامُ نفسُهُ؛ شوارع... زحمة... يَضِيعُ مِنِّي شيءٌ ما...
حقيبتِي؛ مرَّةً أسرقُها مِن رَجُلٍ عَرَفْتُهُ، ومرَّةً تَضِيعُ.
تناثرتُ حقيبتِي اللَّيْلَةَ. أُزهِقْتُ فِي جَمْعِ الأوراقِ الكَثيرةِ.
خُفْتُ عَلَيْهَا.
فجأةً، أرى رَجُلًا غَيْرَ مُحدِّدِ المَعَالِمِ يَحْمِلُنِي.
النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَأنا بَيْنَ يَدَيْهِ عروسًا، بأَجْمَلِ ما رَأيتُ
مِنَ الثِّيَابِ.
كانَ الثَّوبُ مُرَصَّعًا بالجواهرِ. لكِنِّي؛ كُنْتُ لا أزالُ فِي حَسرةٍ
على الحَقِيبَةِ.

السيرة الذاتية

عايدة نصرالله من مواليد أم الفحم (1956).

كاتبة مسرح، قصة قصيرة، شعر، فنانة تشكيلية وناقدة فنية. تُرجمت بعض مسرحياتها للإنكليزية، ونُشرت في مجلة ميرديان 91 التابعة لجامعة ايوا الأمريكية.

ترجمت "مسرحية نشيج السّبحات"، وعدّة قصص وبعض الأشعار للعبرية، ونشرت في مجلة غاغ، وجريدة هارتس ومجلة غرناطة العالمية.

معظم كتاباتها نشرت في صحيفة الاتحاد، مجلة الجديد، مجلة اتحاد الكتاب العرب "48". ومجلة الغد.

مثّلت مسرحياتها كمسرح قرائي في شيكاغو، أيوا، نيويورك ومسرح تسافتا في تل أبيب.

شاركت في مؤتمرات عالمية حول الأدب والفن داخل البلاد وخارجها، وأقامت معارض فنية محلياً وعالمياً.

نشرت عشرات المقالات النقدية في مجال الفن الفلسطيني، المسرح، والأدب في العربية والعبرية والإنكليزية، وقدمت عشرات الكتابات الفنية لفنانين وفنانات فلسطينيين¹.

¹ لا مجال هنا لذكر الكتابات الفنية التي قدمت لها.

الكتب

(2020). عزيزي من وراء البحار، بالعبرية، تل أبيب: دار جاما للنشر.

(2019). أيامي مع مليكة، طنجة: دار نشر الأخوين سليكي.

(2019). ألوان من الحبّ، تل أبيب: دار جاما للنشر.

(2017). مهد من ورق الشجر، عمان: دار ناشرون الآن.

(2012). حفنات، كفر قرع: دار الهدى.

(2012). أنين المقاهي، كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر.

(2014). التفاعل الفنيّ الأدبيّ في الشعر الرّقعيّ: "شجر البوغاز" نموذجاً الفنيّ، كلية بيت بيرل، مركز الدراسات للغة، والمجتمع والتّربية. (بالاشتراك مع الدكتورة إيمان يونس).

(2014). عندما تتكلّم الأمكنة: قاسم مطرود ظاهرة مختلفة في المسرح العربيّ المعاصر. كلية بيت بيرل: مركز دراسات اللغة والمجتمع والتّربية.

2008. عزيزي من وراء البحار. (رواية) نشرت بالألمانية عن دار نشر رومان كوفار. ميونخ.

(2020). أربعون وجه لعبد الله. (قصص) عن دار الوسط اليوم للنشر والإعلام. رام الله.

الفهرس

5	إهداء
7	*1 امرأة بلا مُستقبلٍ
8	*2 سذاجة
10	*3 المغفلة
11	*4 شفقة
13	*5 قَبَعَاتٌ
14	*6 تكاسُلٌ
15	*7 جلسةٌ وقرارٌ
17	*8 هو
19	*9 الشَّيْءُ -1-
21	*10 الشَّيْءُ -2-
23	*11 انتخابٌ
25	*12 لا أنامُ
27	*13 موقفٌ في مطارٍ كازا
29	*14 إخراسُ الهاتفِ
31	*15 مَلٌ
32	*16 بلا هُويَةٍ
34	*17 رائحةٌ
36	*18 سَكِينٌ ناعمةٌ
38	*19 الصَّوْتُ الممنوعُ
40	*20 الخادمةُ
41	*21 السَّيْجَارَةُ الثَّانِيَةُ
42	*22 نظافةٌ
43	*23 هدوءٌ

45	*24 جزءٌ مني
47	*25 تعليقات 1 و 2 و 3
49	*26 بحارٌ
51	*27 غيابٌ 1 و 2
53	*28 رادار
55	*29 الأشباح
58	*30 قُبعة
60	*31 الرَّجُلُ الطَّوِيلُ
62	*32 مُدِيرَةٌ 1 و 2
64	*33 حكايةٌ طويلةٌ
65	*34 اختيارٌ
66	*35 انتهاكٌ
67	*36 حبلٌ غسيلٌ
68	*37 على حافةِ شارع تايثبون، ليفربول
69	*38 حكاية
70	*39 نجاحٌ
71	*40 تينةٌ
72	*41 سِياقةٌ
73	*42 مُشاغبٌ
74	*43 الرَّاقِدُ 1 و 2
75	*44 تبادُلُ أدوارٍ
76	*45 نِعاَسٌ
77	*46 سنجرٌ
78	*47 إشارةٌ
79	*48 كاتبٌ بارِعٌ
80	*49 بروُدٌ

81	*50 شاعرٌ
82	*51 جَنَّةٌ وَأَدَمُ
83	*52 سيمفونية الخيول الأصيلة
84	*53 مساواةٌ
85	*54 مشاغباتٌ 1 و 2
86	*55 رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ
87	*56 بائعةُ الصَدَفِ
88	*57 قُبْلَةٌ
89	*58 اقتحامٌ
90	*59 تحصينٌ
91	*60 لغةٌ
92	*61 حريقٌ
93	*62 تَفَرَّدَ
94	*63 مَشْهَدٌ
95	*64 انهيارٌ
96	*65 سياحةٌ
97	*66 تَدْمُرُ
98	*67 انتصابٌ
99	*68 هُرُوبٌ
100	*69 موسمٌ
101	*70 شخيرةٌ
102	*71 سياسيٌ
103	*72 اجتماعٌ هامٌ
104	*73 ليلةٌ زفافٍ
105	*74 سيرٌ
106	*75 سوفٌ

107	*76 ملامح
108	*77 دَرَوْشَة
109	*78 شارب
110	*79 أكتبيني
111	*80 تقزيم
112	*81 حوار
113	*82 نباح
114	*83 علي حاقّة الصّباح
115	*84 غلبة
116	*85 باسورد
117	*86 صورة
118	*87 هدنة
119	*88 قتل 1 و 2
120	*89 أثر
121	*90 خوف
122	*91 صدمة
123	*92 همسات
124	*93 حَمَى 1 و 2
125	*94 رجل النص
126	*95 امرأة النص
127	*96 تأبين
128	*97 موت
129	*98 منام
130	*99 السيرة الذاتية للكاتبة عابدة نصر الله
132	*100 الفهرس